9 me Année No. 424

Lundi - 18 - 8 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٢٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ رجب سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٨ أغسطس سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

تحت ظلال الطافورة

من أحاديث القهوة

— ١ —

المنصورة بلد الطبيعة الساحرة والطبع الشاعر هى الآن مَصيف ومَهجر

هى مصيف ، لأن موقعها على ملتقى النهر الصغير والنهر الكبير جعلها كرأس البر على ملتقى النيل والبحر ؛ والفرق بينهما أن (رأس البر) رملة من رمال الصحراء ، والمنصورة روضة من رياض الجنة . وهى مهجر ، لأن بعدها عن الأهداف الحربية والثغور البحرية صرف عنها لحظات المغيرين والغيَر

ومن جلة المصطافين بها والمهاجرين إليها تتألف فى القهوات والندَوات جماعاتٌ فى الأدب والسياسة والتجارة واللهو والفضول ترتسم من مجموعها صورة مقاربة لمجتمعنا العام تصلح للتأمل والدرس . ومن جعل الله ديدنه وصف ما يبصر ، وتسجيل ما يسمع ، لا يملك أن يشاهد هذا العالم الصغير دون أن يعرض بعض أحاديثه للبحث ، وبعض حوادثه للنظر

تتفيأ القهوة التى نجلس فيها الدوح الباسق والشجر الوريف بين شارع الكرنيش وشاطئ النيل . فهى تنظر عن اليمين فترى فى الطريق أخلاطاً من الأجناس أكثرها الإغريق ، وأنماطاً من اللباس أغربها القلانس ، وصوراً من الحسن أبدعها

الأوانس ، وهُولاً من القبح أشنعها المتسولون والباعة . وتنظر عن الشمال فترى فى النهر زوارق العبور تنساب حابسة فى شُرُعها طلق الهواء ، أو ضاربة بمجاديفها وجه الماء ، وشباكَ الصيد يطرحها الصيادون فى المكان الضحل فلا تصيب إلا صغار الحمى أو شِبار السمك ، وخواطفَ الطير تحلق فوق الصائد فتختطف ما نال أو تأخذ ما ترك

يغدو إلى هذه القهوة طوائف من الناس أَلَّفت بينهم وحدة الحرفة أو مصافقة المودة أو مبادلة المنفعة : فهنا المعلمون قد تكوفوا على بعض المناضد القاصية ، يجادلون بالصوت الجهير فى الحرب والأخبار ، أو يخوضون فى حديث المفتشين والنظار ، ومذباتهم التقليدية تتحرك آليًّا فى أيديهم فتذود النبار عن الثياب والذباب عن الأوجه . وهناك التجار يتعاقب على مناضدهم الوسطى شُكول من السماسرة والمنتجين فيقيمون فى حدودهم الضيقة سوقاً تصطرع فيها طباع المتسوقين من الإغراء والإباء ، والصخب والغضب ، والمشادة والملاينة ، والمسارّة والمسارة ، ثم ينجلى الأمر عن صفقة من الشعير أو الرز . وهنالك فى أقصى الشرق مناضد بُسطت عليها أغطية من القماش الفوفى وقد أحاط بها عقائل من حسان الروم يفسرهن شباب منهن ، قد أنقذهم من نار الحرب سلام النيل ، وأفرغ عليهم وضاءة النعيم خير مصر ، وضمن لهم عيش الأمان سماحة المصريين ؛ فهم يتساقون أقداح الزبيب ، ويتناقلون أحاديث الأنس ، ويتطارحون أضاحيك الحياة ، كأن شعبهم لم يُذل ووطنهم لم يُحتل ومَلكهم لم يتشرَّد !

وفى خلال هذه الزُّمر ترى شاعراً وسْنان الحركة نشوان الحس يقرأ على صفحة النهر الوردية أشعار الطبيعة ، أو طارئاً من ضخام القرويين لم يطق صبراً على عبث النسيم فنام على كرسيه أثقل النوم ، وغط فى نومه أقبح الغطيط . وعلى حفافى القهوة ومماشيها تتهافت أفنانا من ذباب البشر يقولون إنهم من رعايا وزارة الشؤون الاجتماعية ، فهم المعتوه المخيف ، والمريض المُعْدى ، والشيخ المتهدم ، والشمطاء الخاوية ، والناشئ الضرير ، وكلهم يسأل بالحافى ، أو يبيع بسماجة ، أو يحتال فى سخف !

وتحت الدوحة الكبرى وفى مكان لا يكاد يتغير تجلس جماعتنا طَرَفَى النهار وزُلفاً من الليل . وهذه الجماعة من تأليف الحب وحده . تقارب فى أفرادها الذوق والرأى والهوى فتمكنت بينهم الألفة ، واستكمل بعضهم من بعض ما نقص من عوامل أنسه ومباهج نفسه . وأحسبنى لا أعدو الحق إذا قلت إنها كثيراً ما تُشقق الحديث فى شجون من الأدب والتاريخ ، وفنون من السياسة والنقد ، وشؤون من التجديد والإصلاح ، إذا هى سُجلت فى الرسالة على إيحاء الخاطر وإملاء الطبع كانت نوعاً من الإنتاج الأدبى له قيمته وأثره . ولعلى أستطيع أن أنقل إليك الحين بعد الحين مقطعات من هذه الأحاديث تجد فيها لوناً طريفاً من ألوان المعرفة

وواسطة عقد الجماعة رجلان كل منهما طراز وحده فى مناقلة الحديث ومباهة الرأى : أحدهما الأستاذ توحيد السلحدار ، والآخر الأستاذ الزناتى . أما صديقنا السلحدار فكنز مدفون لم يشأ الله أن يُعرف : نفس كريمة لا تخلق إلا فى ملك ، وحس مرهف لا يكون إلا لشاعر ، وذوق سليم لا يوهب إلا لفنان ، ورأى حصيف لا يختمر إلا فى حكيم ، وثقافة شاملة لا تجتمع إلا لعالم ، وخبرة واسعة لا تتهيأ إلا لأريب . درس الأستاذ توحيد وقرأ ، ثم رحل وشاهد ، ثم ذاق وجرب ، ثم عايش النبلاء بحكم نشأته ، ولابس الدهماء بحكم وظيفته ، وأعانه على الإفادة من كل أولئك أسرة غنية ويد سخية ونفس طُلَعة . فأنت لا تكاد تبدأ الحديث أو تلقى السؤال فى ناحية من نواحى الأدب أو الفن أو السياسة أو التاريخ أو الطب أو الطعام أو الشراب أو اللهو إلا بادرك بقول تظنه لصوابه تفكير يومه ، أو بادهك بجواب تحسبه لسداده اطّلاعَ ساعته

وأما أخونا الزناتى فمحدِّث حسن المنطق عذب الأسلوب جامع لطائفة مختارة من أخبار العلماء والأدباء ورجال الحكم ، شهدها بنفسه ، أو سمعها من أبيه ، أو قرأها فى مخطوط من نوادره ؛ ومن هذه الأخبار ما لا تجده فى كتاب ولا تسمعه من أحد . وللزناتى تطلُّع الجبرتى وملاحظته ، فهو يستقصى أطراف الخبر ، ويستوعب أحوال الأشخاص ، ثم يخزن ذلك فى حافظة واعية ليؤديه متى شاء لا يند منه حرف ولا وصف . ولقد اقترح أحد الأصدقاء على الأستاذ توحيد أن يُطرف قراء (الرسالة) بأحاديث « من جانب الذاكرة » ، وعلى الأستاذ الزناتى أن يتحفهم بنوادر « من فيض الحافظة » ؛ فعسى أن ينزل الأستاذان على مقترح الصديق ، وأن يَعجَلا إلى القراء الظِّماء بهذا الرحيق !

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

فرصة ذهبية لاختبار العزائم والأخلاق — قسم اللغة العربية بكلية الآداب — إدفع الثمن يا جاحد — الموت في الرؤيا حياة — إلى جيراني أوجه القول — تحية عراقية.

فرصة . . .

هي فرصة ذهبية لاختبار العزائم والأخلاق فاغتنموها قبل أن تفوت

وما تلك الفرصة ؟ هي فرصة التنبه الشديد الذي يلازم النفوس والعقول عند اشتداد المكاره والمحرجات . ولا موجب للتذكير بما نعاني في هذه الأيام « البيض » ، وإنما الواجب هو التذكير بالقيمة الصحيحة لأمثال هذه الأيام في تاريخ المشاعر والقلوب ، فهي عندي أصلح الأيام للنضال في الميادين الأدبية والاجتماعية — بغض النظر عن الميادين السياسية — والرجل الذي يتبلد في هذه الأيام بحيث يقضي أوقاته في مضغ الحديث المعاد ، هو رجل لا يصلح لشيء ، وهو بمسلكه البليد يشهد على نفسه بفتور العزيمة وضعف الأخلاق

حين يأتي النذير بأن العالم معرض للدمار والهلاك ـ لا قدر الله ولا سمح ! ـ ينقسم الناس إلى فريقين : فريق يسارع إلى انتهاب اللذات ليأخذ منها حظه قبل أن يموت ، وفريق يستبق إلى الأعمال الجدية ليواجه الموت وهو على أشرف حال ، فإلى أي الفريقين تميلون ، يا قرائي ؟

كونوا كيف شئتم ، ولكن المهم هو تذكيركم بأن الساعة من هذه الأيام قد تساوي سنوات بفضل ما فيها من التنبه والتيقظ ، وبفضل ما تصنع في إرهاف عزائمنا وقلوبنا ، وتلك فرص لا تسنح في كل يوم ، فاغتنموها قبل أن تفوت ، ثم اغتنموها قبل أن تفوت

لو كنا في حرب لدعوت نفسي ودعوتكم إلى الاستشهاد في سبيل الوطن الغالي ، ولكن مصر لم تقرر إعلان الحرب ، فلم يبق إلا أن ننتفع بالفرصة التي أتيحت بسبب تعرضنا لأخطار الحرب ، بلا بغي منا ولا عدوان

والفرصة هي تلك اليقظة العقلية والروحية ، اليقظة التي بعثت جميع النفوس ، وصيرت أعصابنا في وقدة الجمر الوهاج

لا يجوز أن تنقضي هذه الأيام بلا محصول نفيس يرفع رءوسنا بين كرام الشعوب ، ولا يجوز أن نقف موقف المنتظرين لما تسفر عنه الأعداء الآتية ، وهي أعداء مجهولة الألوان ، ولا ينتظرها إلا أهل الغفلة والخمود

لا يجوز أن تقل أوقات العمل عن عشر ساعات من كل يوم ، بالنسبة للضعفاء . أما الأقوياء فمن واجبهم أن ينتفعوا بجميع الأوقات ولو قهرتهم الغارات على اللجوء إلى ظلمات السراديب

هي فرصة للتخلص من الأمراض النفسية والروحية ، فاغتنموها قبل أن تفوت

هل سمعتم بجهنم — أعاذكم الله من حرجهنم — ؟

يقيم الآثم مدة في جهنم عقاباً على ما اجترح من السيئات ، ولو أصغيت لوحي النزعة الصوفية لقلت : يقيم الآثم مدة في جهنم ليتطهر من الأوضار النفسية والروحية بحيث يصلح لمجاورة سكان الفردوس

ومكاره الحرب ليست عقاباً على آثام جناها المصريون — وهم نماذج في الرفق والتسامح — وإنما هي محن مطهِّرة سنقطف ثمارها بعد حين

والإقبال على الأعمال بشغف وشوق هو الذي يقصر أمد ذلك الامتحان ، فأقيموا الدليل على الصلاحية لحياة البر والجد ، ليرفع الله عنكم آصار الخوف ، وليُذهب عنكم أوجال هذه الأيام

إن اللاهين واللاعبين لا يستحقون الحياة ، فمن حق الأقدار أن تسلب منهم هذه النعمة حين تشاء

أما الذين يبذلون حياتهم في الأعمال الجدية صابرين مُصابرين ، فلهم في الحياة شرف الكرامة ، ولهم بعد الموت شرف الخلود

في كلية الآداب

قيل وقيل إن قسم اللغة العربية بكلية الآداب صائر إلى الزوال ، مع أنه كان النواة لدوحة الجامعة المصرية ؛ فما أغربَ ما تصنع التقلبات بمصاير الشخصيات المعنوية في هذه البلاد !

ويقال إن فكرة توحيد المعاهد التي تصوغ مدرسي اللغة العربية هي السبب في إلغاء ذلك القسم ، فما تستطيع الدولة أن تحتمل الإنفاق على ثلاثة معاهد توصل إلى غرض واحد !

هو ذلك ، يا مَن أقمتم البرهان على تبحركم في علم الاقتصاد ! ولكن هل يوجد في الدنيا كلية آداب ليس بها قسم خاص بآداب اللغة القومية ؟

لكم أن تنشئوا معهداً يتخرج فيه مدرسو اللغة العربية على المنهاج الذي تنشُدون ... أما اعتداؤكم على قسم اللغة العربية بكلية الآداب فهو جناية لا يُقدم على اقترافها رجل حصيف

وقد سمعت — وما أشنع هذا الذي سمعت — أن أساتذة كلية الآداب رحبوا بذلك الاقتراح اللطيف ! « يشهد بذلك خطاب تلقيته من أحد المتخرجين في كلية الآداب ، وإن كان بغير إمضاء ، كأن صاحبه يخاف عواقب الجهر بالرأي الصحيح »

أما بعد فهذه تجربة جديدة لأساتذة كلية الآداب ، فإن أنقذوا ذلك القسم وهم شهود فسيعرف القلم كيف يجزيهم أحسن الجزاء

كان يقال : إن من عيوب عهد الاحتلال أنه لم يرَ التعليم إلا وسيلة للتوظف ، فكانت مكيدة لقتل المواهب المصرية

فأين أذناك ، لأسمعك صوت الحق ، يا عهد الاستقلال ؟ !

وأين اليمين ؟ أين اليمين ؟ إي والله ، فقد أقسمنا على الوفاء لكلية الآداب ، وهي اليوم بلا ناصر ولا معين ، فأين أبناؤها الأوفياء ؟ كان الظن أن لا يلغى كرسي واحد من كراسي تلك الكلية ، ولو كان خاصاً بدرس لغة الزنوج ، فكيف يلغى قسم اللغة العربية ؟ تلك أمور يحار فيها اللبيب

ادفع الثمن يا جاحد !

هذا مدرس « من شرق الأردن » كتب إليّ خطاباً بلغت كلماته ١٥٠٠ بالتقريب ، وإنما قدرت الكلمات لسبب سيعرفه بعد لحظات

وذنبي عند هذا المدرس أني لم أفِ بما وعدت من بسط القول عن الحياة الأدبية في العراق ، فقد سكتُّ بعد بضع مقالات ... فهل غاب عنه أن الدنيا وقعت فيها أكدار صرفت القلم عما اعتزم المضيّ فيه ، وأن من تلك الأكدار انقطاع البريد بين مصر والعراق ؟! وما قيمة الكتابة عن الأدب العراقي ، وكان أهله في شغل بما عرف الناس ، إلا ذلك المدرس الأديب ؟!

انتظر ، فقد نصل ما انقطع بعد أسابيع

ثم أرجع إلى بيت القصيد فأقول : إن هذا المدرس أتعب نفسه بمناوشتي وهو يعتقد بأني لن أنشر خطابه في « الرسالة » ولن أرد عليه ، فمن أين عرف أني أبخل عليه بالنشر والردّ ، إن اتسعت صفحات « الرسالة » لما يريد ؟

لو فكر قليلاً لعرف أن من الخير للحياة الأدبية أن يكون فيها كاتب يثير بعض القراء إلى الحد الذي يسمح بأن ينفعل فيكتب مئات الكلمات باهتمام واحتفال : فكتابة ١٥٠٠ كلمة في ساعة غضب توقظ العقل والذوق ، وتروض الكاتب على الاصطلاء بنار الفكر والوجدان

وما قال أحد إنه يبغضني ويحقد عليّ إلا اطمأننت إلى تبليغ رسالتي الأدبية ، فأنا أخلق الفرص خلقاً لإذكاء نار الغضب والحقد في القلوب التي طال عهدها بالغفوة والخُمود ... وهذا الناضب الحاقد لا يعرف كيف انشرح صدري لما صدر عن قلمه من غضب وحقد ، فذلك شاهدٌ جديد على أن جهودي الأدبية لن تضيع

إن هذا المدرس لا يعرف كيف خدمته حين أثرت عواطفه الغافية ، وحين قهرته على الفزع إلى القلم والمداد والقرطاس ، وحين فرضت عليه أن يقول ما يقول بألفاظ خِفاف أو ثِقال !

إدفع الثمن ، يا جاحد ، ليرفع الله عنك إصر الُجحود !

الموت في الرؤيا حياة

الأديب الفاضل السيد « كاشف » الذي كتب إلينا من

« أمالى النيل » رأى فى منامه حلماً أزعجه أشد الإزعاج ، وكيف لا ينزعج وقد رأى أن أعظم أحبابه الروحيين قد مات ؟

وأجيب بأن الموت فى الرؤيا حياة ، فله أن يطمئن كل الاطمئنان

والطريف فى هذه الرؤيا أن الميت هو صاحب « النثر الفنى » وأن السيدة التى كانت تبكى خلف نعشه اسمها « ليلى » وهذا الأديب يرجونى أن أفسر له هذا الحلم المزعج ليذهب خوفه وأساه ...

ومن غريب المصادفات أن أقرأ فى جريدة الدستور قبل أن أتسلّم خطاب هذا الأديب بلحظة قصيرة كلمة مترجمة عن جندى يابانى ، وهى :

« حلمت ليلة أمس أنى فقدت أبى ، وقد أخبرنى أحد رفاق أن هذا الحلم فأل حسن »

والقول بأن الموت فى الرؤيا حياة هو قول ابن سيرين ، فاتفاقه مع العقيدة اليابانية دليل على ارتباط الأمم الشرقية بعضها ببعض فى كثير من المعانى والآراء

أما بكاء « ليلى » خلف نعشى فهو شاهد على اعتزازى بمودة أهل العراق فهم أنصارى الأوفياء . أعزنى الله بودهم الوثيق

الى جيرانى أوجه القول

لا تظنوا أن أعماركم سيضيع منها شىء إن أقللتم من الجزع وقت النذير بغارة جوية ، ولا تتوهموا أن الأعداء عندهم من الذخائر ما يكفى لتقويض جميع البيوت ، ولا يخطر فى بالكم أن جنود السوء ستقصدكم بالذات ، فهم يجهلون مواقع أرواحكم بالنهار وبالليل ، ولعلهم يجهلون مواقع أرواحهم من وثبات القضاء

تلك كروب ستنجلى وستنكشف بعد أمد قصير أو طويل ، ثم تعود الحياة إلى ما كانت عليه من الرخاء والصفاء

العاقبة للصابرين ، يا جيرانى ، فلا تزعجونى بما أسمع من أمارات القلق والخوف ، وقد أويتُ إلى سرداب البيت لأدوّن بعض الملاحظات فى أمان من اعتراض البوليس لا من اعتراض الموت ، فالأعمار بيد الله يتصرف فيها كيف شاء

أكتب هذا وأنتم فى هرج ومرج ، كأن صفارة الإنذار هى النفخ فى الصور ، وكأن الدنيا على شفا الزوال !

يكفى أن تراعوا نصائح وزارة الوقاية ، تأدُّباً مع النظام ، لا تخوُّفاً من الموت ، ولتصنع الأقدار بعد ذلك ما تريد

لن يترك أحد من عمره دقيقة واحدة ، ولو عرّض صدره لقواذف الموت ، فما جزَعكم من كوارث لن تُصيب إلا من كُتِبتْ عليه فى سريرة الوجود ؟

ثقوا ، يا جيرانى بأنكم باقون ، إلى أن تنتهى الحرب بسلام ، وثقوا بأن الاستهانة بالخطوب تفلّ أنياب الخطوب ، واعرفوا جيداً أن الحياة لا توهَب إلا لمن تَصغُر فى نفسه قيمة الموت

ما هذا ؟ تلك قهقهة عنيفة يصل دويها إلى أذنىّ ، وهى الأمارة على أنكم أصحاء النفوس والقلوب . جزاكم الوطن عن تلك القهقهة أحسن الجزاء

تحية عراقية

فى صدر جريدة « الأحوال » البغدادية تحية موجّهة إلى مجلة « الرسالة » بإمضاء « رفيع » ، وقد وُضعت التحية فى إطار جميل يصور بعض مواقع السحر فى بغداد

فماذا نصنع فى رد تلك التحية ؟

نقدّم إلى قرائنا الأخبار الآتية :

أولاً — لم ألاحظ فيما يصل من جرائد ومجلات أمثال « الأحوال ، والأخبار ، والكرخ ، والحضارة ، وصوت الحق » أن العراق كان وقع فى كروب بسبب الحرب ؛ فالعراق هو هو ، وروحه المعنوى لا يزال قويًّا سليماً ، واهتمام هذه الصحف بشؤون التعليم والاقتصاد لم ينله أى ضعف ، فهى لا تلتفت إلى الماضى لتجترّ ما وقع فيه من لأواء ، وإنما توجّه جهودها إلى المستقبل بعزيمة ومَضاء ، وكذلك يفعل عقلاء الرجال

ثانياً — وزارة الدفاع الوطنى هناك تنشر الإعلانات من وقت إلى وقت فى دعوة الشبان إلى الإقبال على الجندية ، وهى ترغّبهم بشتى الوسائل كأن تقول إن مرتباتهم فى أيام الدراسة

كيف يكتب التاريخ

للدكتور حسن عثمان
مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

— ٢ —

العلوم المساعدة

المقبل على دراسة التاريخ وكتابته ينبغى أن يعلم من أول الأمر أنه مقبل على عمل شاق يتطلب الجهد والتضحية والصبر الطويل ، وأنه تلزمه دراسة عميقة وتحصيل جدى . وأنواع المعرفة الإنسانية متداخلة متشابكة فيما بينها ؛ ولا يمكن أن يُدرس علم معين مستقلاً بذاته عن باقى العلوم الأخرى . فمثلاً لا يستطيع الإنسان أن يفهم القرآن بدون أن يعرف اللغة العربية وعلم القراآت والفقه ... وكذلك دراسة التاريخ متصلة بأنواع مختلفة من المعرفة الإنسانية . وكاتب التاريخ ينبغى أن يكون واسع الثقافة عارفاً بالعلوم المتصلة مباشرة بدراسة وكتابة التاريخ . ويمكن أن تسمى أنواع المعرفة اللازمة للمؤرخ بالعلوم المساعدة ؛ وهى تختلف باختلاف العصر الذى يرغب الكتابة عنه ؛ فالعلوم المساعدة اللازمة لمن يكتب فى تاريخ اليونان القديم تختلف عن العلوم المساعدة الضرورية لمن يكتب فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية

ومعرفة اللغات من أهم العلوم المساعدة الضرورية للراغب فى كتابة التاريخ . فلا بد أولاً من معرفة اللغة الأصلية للعصر التاريخى المرغوب الكتابة عنه ، لأن التراجم التى تكفى للثقافة العامة لا تكفى المؤرخ للتغلغل فى تاريخ ذلك العصر . فالراغب فى الكتابة عن تاريخ اليونان القديم لا بد له من معرفة اللغة اليونانية القديمة . ومن يرغب الكتابة عن تاريخ العصور الوسطى فى الغرب يلزمه معرفة اللغة اللاتينية التى كانت سائدة فى تلك العصور . والراغب فى الكتابة عن تاريخ إيطاليا من الضرورى له أن يعرف اللغة الإيطالية . وأهمية اللغات لا تكون بدرجة واحدة بالنسبة للعصور التاريخية المختلفة . فمثلاً الراغب فى الكتابة عن الثورة الفرنسية ليس من الضرورى له أن يعرف اللاتينية ، ومن الأفضل أن يصرف جهده لتعلم لغة أوربية حديثة ؛ ولكن اللاتينية ضرورية لمن يرغب فى دراسة تاريخ الكنيسة حتى فى العصر الحديث . وعلى كل فإنه كلما تعددت اللغات القديمة أو الحديثة التى يلم بها الباحث فى التاريخ اتسع أمامه أفق البحث والاستقصاء . فأى باحث فى التاريخ ينبغى أن يعرف اللغات الأصلية ، قديمة أو حديثة ، المتعلقة بالعصر الذى يدرسه كالهيرغليفية واليونانية واللاتينية والعبرية والعربية والفارسية والتركية لكى يستطيع أن يرجع بنفسه إلى الأصول التاريخية الأولى ؛ وكذلك ينبغى أن يعرف اللغات الأوربية الحديثة الشائعة الاستعمال وهى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية ، وإن قصر فى معرفة بعضها ينبغى أن يسد هذا النقص ، وذلك لكى يقرأ المؤلفات التى تصدر بهذه اللغات عن العصر الذى يدرسه . وقد تبدو مسألة تعلم اللغات عسيرة ، وقد تجعل أشجع الناس يتردد فى الإقدام عليها ؛ ولكنها دراسة لا بد منها لمن يرغب جدياً فى كتابة التاريخ . ويحسن أن يبدأ الراغب فى كتابة

بمختلف المدارس العسكرية ستكون على هذا الوصف أو ذاك ، وأن حالتهم بعد التخرج ستكون على هذه القاعدة أو تلك ، وأعظم وسيلة فى نظر وزارة الدفاع هى تذكير أولئك الشبان بأنهم سيكونون حماة البلاد . وهذا روح يدل على الشعور بقوة الذاتية ، ويبشر بمستقبل مرموق ، حقق الله الآمال !

ثالثاً — فى جميع النشرات التى تصدرها وزارة الدفاع نجد العبارة الآتية :

« يجب أن يكون الطالب عراقياً ، وليس متجنساً »

ومن هذه العبارة نفهم أن الاتجاه الجديد فى العراق يوجب أن يكون الجنود والضباط والقواد من دم عراقى سليم ، ولهذا الاتجاه الجديد أسباب لا تخفى على أولى الألباب

زكى مبارك

التاريخ دراسة اللغات الضرورية أثناء وجوده بالمعاهد النظامية ؛ ولكن لا داعي لأن يدرس عدة لغات في وقت واحد. وليس هناك ما يمنع الباحث من دراسة أية لغة جديدة في أي وقت من حياته ؛ ودراسة سنتين في إحدى اللغات الجديدة على الباحث كافية كأساس مبدئي ، يستمر بعدها في المزيد . ويا حبذا لو أمكنه قضاء بعض الزمن في بلد تلك اللغة الجديدة .

ومن العلوم المساعدة الأساسية لكتابة التاريخ علم قراءة الخطوط Paleography (١) . وقراءة أنواع الخطوط تدرس بعناية في جامعات الغرب . وتوجد أنواع مختلفة من الخطوط الغربية والشرقية تبقى كالطلاسم حتى يتعلمها الباحث ويتدرب على قراءتها . ودراسة هذه الخطوط توفر عليه الوقت وتجنبه الوقوع في الخطأ فيما لو ترك المسألة لمجرد التعلم بالتمرين ؛ وأحياناً توجد وثائق كتبها سفراء وقناصل الدول إلى حكوماتهم بالشفرة ، وذلك لإخفاء معلوماتها عمن يحتمل أن تقع في يده من الأعداء ؛ فينبغي تعلم فك هذه الشفرة بواسطة المفتاح الخاص بها إن وجد في دار الأرشيف التي يعمل فيها دارس التاريخ . ويوجد بالأرشيف الواحد أكثر من مفتاح واحد على حسب الحالة ، ومفاتيح الأرشيف تختلف من بلد إلى آخر . فمفاتيح أرشيف الفاتيكان تخالف نظيرها في فلورنسا أو فينا أو باريس أو مدريد . وعلم قراءة الخطوط ضروري جداً لدراسة فروع مختلفة من التاريخ مثل تاريخ مصر القديم ، وتاريخ اليونان والرومان ، وتاريخ العصور الوسطى ، والتاريخ الحديث ، حتى أوائل القرن السابع عشر ، بالنسبة لدور الأرشيف في أوربا ، وبعد ذلك العهد تصبح الخطوط واضحة مقروءة . والخط العربي مثلاً كتب بأشكال مختلفة، فمنه : الطومار والنسخي والرقعة ، وقراءتها تحتاج إلى تعلم وتمرين ؛ ولقد وضع بعض القدماء والمحدثين في الشرق والغرب بحوثاً في قراءة الخطوط العربية(٢) . وفي الشرق الأدنى العثماني كتبت الوثائق

(١) Encyclopaedia Britannica : Palaeography

(٢) كاتب جلبي : كشف الظنون ، ج ٣ ، طبع لندن ١٨٤٢ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، طبع القاهرة ١٩١٤ ، أدولف جروهمان: أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٤، =

التركية بعدة خطوط مثل الخط الديواني وخط القيرمة ، وقراءتهما تحتاج إلى تعليم خاص . ومجموعات وثائق دار المحفوظات المصرية بالقلعة تحتوي آلاف الوثائق عن تاريخ مصر المالي والإداري في العهد العثماني وفي عهد محمد علي وخلفائه ، وكلها مكتوب باللغة التركية وبخط القيرمة(١) ؛ وكذلك توجد مجموعات من الوثائق بهذا الخط في سورية وتركيا . وستظل معلوماتنا عن هذه القرون الطويلة قاصرة وناقصة وقابلة للتعديل حتى يتعلم الباحثون قراءة خط القيرمة ، ويتمكنوا من دراسة هذه الكنوز التاريخية على مدى عدة أجيال .

ويتصل بدراسة الخطوط علم الدبلومات والوثائق Diplomatics . فيتعلم الباحث لغة ومصطلحات وثائق العصر الذي يدرسه ، وأنواع الورق والحبر الخاص بها ، لكي يستطيع أن يعرف صحة الوثيقة أو بطلانها . ويلزم الباحث أن يعرف بعض نواحي علم الكيمياء لكي يستعين بذلك على فحص هذه الوثائق بنفسه إذا اقتضى الأمر ؛ ثم يأتي علم النومات Numismatics أي علم النقود والمسكوكات . فالعملة والأنواط التي تحمل صور الملوك أو ذكرى حوادث تاريخية معينة ، عليها سنو ضربها تفيد في دراسة التاريخ ، فنعرف منها حقائق عن حكم الملوك وعن مدى انتشار التجارة وعن تاريخ الفنون .

والجغرافيا من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة وكتابة

= Moritz, B. : Arabic Palaeography. Cairo, 1905 (اشترك في ترجمته من الانجليزية مع المؤلف الدكتور حسن ابراهيم حسن والأستاذ عبد الحميد حسن)

(١) قيرمة كلمة تركية بمعنى التكسير أو الثني ، لأن خط القيرمة كثير الزوايا والثنايا ؛ ويمكن أن تكتب به معلومات كثيرة في حيز ضيق ؛ وهو معقد ولا يقرأ إلا بعد التعليم والتدريب . وقد أوجده العثمانيون لتحرير الشؤون الادارية والمالية ولكي يحيطوا محفوظاتهم بالسرية والكتمان . وشاع استعماله في ديوان الروزنامة المصرية ابتداء من القرن ١١ هـ . ولقد كتب زميلي الأستاذ محمد محمد توفيق الوثائقي المترجم بدار المحفوظات المصرية بالقلعة مقالا بمجلة الهلال عدد يونيو ١٩٤١ عن وثائق مصر منذ الفتح العثماني حتى أوائل عهد محمد علي . ولقد وضع بحثا عن مشتق خط القيرمة أرجو أن يطبع قريبا حتى يستفيد منه الباحثون .

التاريخ ؛ والارتباط وثيق بين التاريخ والجغرافيا . فالأرض هى المسرح الذى حدثت عليه وقائع التاريخ ، والظواهر الجغرافية المختلفة لها أكبر الأثر فى الإنسان والتاريخ . فالسهول والجبال والصحارى والوديان والأنهار والبحار والمناخ وأنواع الرياح والثروة الطبيعية والموقع الجغرافى تؤثر كلها على تكوين الإنسان وعلى نوع حياته وعلى نوع الحضارة وعلى حوادث التاريخ . فلدرس تاريخ مصر مثلاً لا بد من معرفة أثر ظروفها الجغرافية فى التاريخ المصرى . فوقع مصر بين الشرق والغرب قد جعلها تجمع ثروة طائلة لمرور التجارة العالمية بأراضيها فى العصور الوسطى ؛ وموقعها الجغرافى جعلها تقف أمام أوربا أثناء الحروب الصليبية . وظروف الجزر البريطانية الجغرافية قد منعت أوربا عن التدخل فى شؤونها . وفى الوقت نفسه جعلتها تسيطر على البحار وتتدخل فى الشؤون الأوربية فى أوقات مختلفة . وأحياناً تتدخل العوامل الجغرافية تدخلاً حاسماً فى تغيير مجرى التاريخ . فالعواصف والأنواء قد ساعدت الأسطول الإنجليزى على التغلب على الأرمادا الإسبانية فى ١٥٨٨ . وشتاء الروسيا كان من العوامل التى أدت إلى فشل حملة نابليون فى ١٨١٢ . فلا بد من الإحاطة بكل هذه الظروف لفهم التاريخ . والتاريخ والجغرافيا متلازمان ولا يمكن استغناء الواحد منهما عن الآخر

والأدب من العلوم المساعدة لفهم وكتابة التاريخ . فدراسة الأدب بصفة عامة توسع عقل الإنسان وتجعله أقدر على الفهم . ولا بد للراغب فى كتابة التاريخ من أن يتذوق الشعر لكى يفهم ملكة الخلق والابتكار . ويلزمه أن يقرأ القصص الأدبى لكى يتعلم فن عرض الموضوع وإبراز الحوادث المهمة وبحث الشخصيات ، ووضع التفاصيل فى المكان الملائم ، وإثارة انتباه القارئ . ويحسن أيضاً دراسة بعض كتب النقد الأدبى لأن هذا يساعد على نقد التاريخ . ودراسة الآثار العقلية لأمة ما أمر ضرورى جداً لفهم تاريخ هذه الأمة . فمعرفة الأدب اليونانى ضرورية لكتابة تاريخ اليونان ؛ والإلمام بالأدب الإيطالى لازم لكتابة تاريخ إيطاليا ؛ ودرس الأدب الإنجليزى مهم لفهم تاريخ انجلترا

ويتصل بدراسة الأدب الفنون المرتبطة بالشعب أو بالعصر الذى يرغب الباحث الكتابة عنه ، مثل فنون النحت والتصوير والعمارة والموسيقى . فمن يرغب فى دراسة تاريخ اليونان القديم لا بد له من أن يدرس تطور الفن اليونانى القديم . ومن يرغب الكتابة عن تاريخ النهضة فى إيطاليا يلزمه أن يدرس تطور الفن الإيطالى فى عصر النهضة . ويمكن جمع ثقافة فنية عامة بدراسة الصور والرسوم فى بعض المؤلفات العامة . وياحبذا لو أمكن الباحث أن يدرس أهم آثار الفن اليونانى أو الإيطالى فى متاحف اليونان وإيطاليا ، ويعيش بعض الزمن فى ذلك الجو الفنى الخالص بين روائع فنون التصوير والنحت والموسيقى . ولا ريب فإن الفنون خلاصة العواطف الإنسانية ، تعبر أصدق تعبير عن روح العصر ، والتأثر بها يجعل الباحث أقدر على فهم التاريخ وكتابته

ومن المسائل الأساسية لمن يرغب فى كتابة التاريخ أن يعلم ما عرفه العالم عن التاريخ قبل أن يكتب التاريخ . فينبغى أن يقرأ بعض آثار كبار المؤرخين السابقين مثل : هيرودوت وتوسيديد وليفى وما كيافيلى وفيكو وجبون وفولتير ... وأن يقرأ بعض المؤلفات الحديثة عن التاريخ عامة ، وعن العصر الذى يرغب فى الكتابة عنه خاصة . فيلم بثقافة تاريخية عامة ، كما يعرف الطرق التى اتبعها الأقدمون والمحدثون فى بحث وكتابة التاريخ

ومن المفيد أيضاً أن يلم الباحث فى التاريخ بطائفة أخرى من العلوم المساعدة . فيلزمه أن يعرف شيئاً عن المنطق وتقسيم العلوم لكى يفهم موضع التاريخ من بقية العلوم الأخرى ، كما ينبغى أن يدرس فلسفة التاريخ فيعرف آراء بعض الكتاب مثل : برجسون وكروتشى . وهو محتاج أيضاً لأن يعرف مسائل عامة عن علم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد والمالية والقانون والنظريات السياسية ، والرياضة والفلك فى بعض الأحيان ، لأنه قد تعرض للباحث كل أو بعض هذه المسائل ، فلا بد من أن يكون ملماً بها ، وإذا لم يكن يعرف بعض هذه النواحى ، فيمكنه تحصيلها بسهولة

الشّعْر

للأستاذ بنيامين خليل

كثيراً ما قامت موازنات بين الشعر والتصوير؛ فقد قال (سيمونيدس) Simonides: «الشعر تصوير ناطق، والتصوير شعر صامت». وقال (كوزن) Cousin: «الشعر أول فن من الفنون الجيلة، لأنه يمثل غير المحدود خير تمثيل». وقال أيضاً: «ولو أن الفنون — إلى حد ما — بعضها بمعزل عن البعض الآخَر، فإن فناً منها قد انتفع بموارد جميع الفنون، ألا وهو الشعر. فن الكلمات يستطيع صاحب القريض أن يصوغ صورة، أو ينحت تمثالاً، أو يحاكي المهندس المعماري في تشييد المباني. وفي مقدور الشعر أن يجمع بين عذوبة اللفظ والموسيقى. ففي الشعر كما يقولون تتلاقى جميع الفنون».

إن قصيدة عصماء معرض من الصور. ومما لا جدال فيه أن التصوير والنحت يعطياننا — عن شيء لم نره من قبل — صورة أكثر وضوحاً من أي قول أو وصف؛ ولكن إذا ما وقع الشيء تحت أنظارنا — تنعكس الآية — فنرى ثمة أموراً كثيرة يبرزها الشاعر أمامنا، وقد كنا لا نراها قبلاً في الشيء ذاته من تلقاء أنفسنا؛ فالفنّي هو الذي يصنع الأشياء واضحة كل الوضوح، أما الشاعر فهو الذي يخلق الأحداث والمعاني.

الشاعر العبقري مهبط الوحي والإلهام، ولذا نرى له حاسة فائقة لإدراك الجمال، وله مشاعر أدق من مشاعر معظم الرجال، مشاعر مضبوطة ضبطاً محكما. قد يكون المرء شاعراً ولو لم يدرس شيئاً عن علم العروض؛ أما من يكتب شعراً رديئاً، أو حقيراً، فهو ليس بشاعر. لا يحيا الشعر ويدوم طويلاً إلا إذا كان شعراً حياً، إذ أن ما يصدر عن العقل والعاطفة ينسكب في القلب.

إن الشعراء والكتاب الذين يعدون في الطبقة الثانية سرعان ما تنقرض ذكراهم، ويتقلص ذكرهم، ويتوارى في زوايا النسيان؛ أما العباقرة منهم فأثرهم خالد إلى الأبد. ألم يعمر شعر (هوميروس) Homer حوالى ٢٥٠٠ سنة دون أن يفقد حرفاً من حروفه، أو مقطعاً من مقاطعه، على حين نرى قصوراً شاهقة وقلاعاً حصينة قد دمرت وأتى عليها العفاء؟ أجل لا يتسنى لنا أن نحصل

وأخيراً من الضروري جداً ألا يبقى الباحث في التاريخ في بلد واحد وفي دائرة محصورة؛ بل يلزمه السفر والارتحال إلى بلدان مختلفة، لا من أجل البحث التاريخي في ذاته فقط، بل لكي يرى آفاقاً جديدة، ويكسب خبرة بالناس وبالأوساط المختلفة. ومن الضروري أن يقضي زمناً في البلد الذي يدرس تاريخه. والأفضل أن يبدأ الباحث سفره بعد أن ينهي تعليمه الجامعي في بلده الأصلي، وبعد أن يقطع شوطاً في الدرس، وبعد أن يتعين له العصر الذي يرغب الكتابة عنه؛ فيسافر وقد تزود بأسلحة نافعة وبدأ طريق البحث العلمي، فيمضي في الدرس والكشف عن الحقائق التاريخية، ويزور الأماكن المختلفة، ويدرس ويتأمل؛ والنفس العالية لا تشعر بأنها غريبة في أي مكان

وهذا كله ملخص عن العلوم المساعدة وعن الإعداد اللازم لمن يتصدى لكتابة التاريخ. وليس المقصود بذلك التوسع في كل هذه النواحي لذاتها؛ فإن هذا غير مستطاع. وإنما يكفي المعرفة العامة بقراءة بعض الكتب. وقد تزيد المعرفة في نواحي معينة من هذه العلوم المساعدة، على حسب طبيعة العصر الذي يرغب الباحث في دراسته والكتابة عنه. وقد يبدو من العسير جمع هذه الثقافة العامة؛ ولكن تخصيص حوالى ست سنوات أو سبع، تفعل العجائب، وتكفي للوصول إلى مستوى مناسب، يزداد بالتدريج. وروح العلم الصحيح لا تعرف العقبات؛ والإخلاص والصبر يصلان بالباحث إلى الغرض في أغلب الأحيان.

(يتبع)

حسن عثمان

على تماثيل كورش والإسكندر قيصر ، أو على صورهم الحقيقية ، لأن الصور الأصلية لا تدوم ، وما يُنقل عنها تنقصه الحياة وتعوزه الحقيقة . أما الصور الذهنية لعبقرية الرجال وعلمهم ، فتبقى فى الكتب بعيدة عن عبث الزمن متجددة فى كل حين . وليس من الصواب أن نسميها صوراً لأنها تتوالد وتلقى بذورها فى عقول الناس فتنتشر فى الأجيال المتعاقبة أحداثاً وآراء لا حد لها

* * *

إذا كان اختراع السفينة فكرة نبيلة ... تلك السفينة التى تنقل الثروة والتاجر من مكان إلى آخر ، وتصل البلاد المتنائية بعضها ببعض فتتبادل محصولاتها — فما أحرانا أن نعظم الآداب التى تحاكى السفن فى كونها تمخر عباب البحار ، ولكنها بحار الزمن المترامية الأطراف ، فتربط العصور المتوغلة فى القدم ، فينتفع كل عصر بحكمة العصور الأخرى وثقافتها واختراعاتها !

يحتاج الشاعر إلى مؤهلات كثيرة . يقول (كوزن) Cousin : «من الذى وضع تصميم هذه القصيدة النقل؟ وما الذى ألبسها الحياة والبهاء؟ الحب . وما الذى أرشد العقل والحب؟ الإرادة» . ومن المسلم به أن لكل من الرجال قسطاً من الخيال ، أما المحب والشاعر فمن الخيال قد خُلقا كلاهما

إن عين الشعر ترنو فى سمو وجلال ، وتسبح من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء ؛ وبينما خيال الشاعر يتصور الأشياء غير المنظورة ، نرى يراعته تصوغها فى قالب فنى جميل ، تعين للعدم مكاناً وتعطيه اسماً

يقول (شيشرون) Ciceron الخطيب الرومانى الشهير فى خطبته عن (أركياس) Orchias : «أليس هذا الرجل جديراً بحبى ، جديراً بإعجابى ، جديراً بكل ما أستطيع من وسائل دفاعى عنه ؟ إننا قد تعلمنا عن أكثر الناس حكمة أن التربية والتعليم والمران تكسب المرء تفوقاً فى أى فرع من فروع العلم غير الشعر . أما الشاعر فقد صاغته الطبيعة وأيقظته القوى العقلية ، وأوحى إليه بما نسميه روح الإله نفسه» . يقول أفلاطون : «الشعراء أبناء الآلهة ومترجموهم»

* * *

يرفع الشعر الحجاب عن جمال العالم ، ويبسط على الأشياء المألوفة فيضاً من النور وهالة من الخيال . إن من يحب الشعر حباً حقيقياً لا يعجز عن إحراز قسط وافر من السرور بمظاهر الطبيعة التى لا يرى فيها محبوها إلا جمالاً ، ولا يسمعون منها إلا أنغاماً موسيقية . على أن الطبيعة — مع ما فيها من أنهار عذبة ، وأشجار مثمرة ، وأزاهير أرجة عطرة — لم تبرز الأرض فى حلة أبهى وأجمل مما وصفها به الشعراء

نرى الشاعر ينقلنا من المدينة التى تنعقد فوقها سحب الدخان بطريقة ساحرة — ينقلنا من جو ملبد بالدخان إلى الهواء الطلق ، إلى الشمس الساطعة ، إلى حفيف أشجار الغابات ، إلى خرير المياه ، إلى تلاطم الأمواج بالرمال — ويساعدنا الشاعر على نسيان هموم العيش ومتاعب الحياة كأننا مستغرقون فى حلم من أعذب الأحلام

* * *

يجب أن يكون الشاعر ذا معرفة لا بالطبيعة الإنسانية فحسب ، بل بالطبيعة بأكملها أكثر مما يتصف به غيره من الرجال . أخبرنا (كراب روبنسون) Crabbe Robinson أن رجلاً استأذن فى مشاهدة حجرة مكتب (وردسورث) Wordsworth ؛ فأجابته الخادم قائلة : «هذه حجرة مكتب سيدى ، ولكنه يقوم بالدرس فى الحقول»

* * *

ولنقدر الشعر حق قدره يجب ألا ننظر فيه نظرة سطحية ، أو نقرأه على عجل ، أو نطالعه لكى نتكلم أو نكتب عنه ، بل يجب أن يركز الإنسان عقله فى وضعه الصحيح

إن كنوز الشعر التى لا تحصى فى متناول كل منا ؛ فقد يكون خير الكتب أرخصها ، إذ بثمن كوب من الجعة أو قليل من تبغ ، نستطيع أن نشترى أحد مؤلفات شكسبير أو ملتون ،

الحروب الصليبية

ماهيتها ، تطوراتها ، نتائجها

للأستاذ ر . التميمي

كان مركز البابوية ومقامها قد انحط كثيراً في أثناء القرن العاشر وأصبح موضوع نزاع الأحزاب في رومة ؛ واعتلى عرشها أناس لا خلاق لهم كانوا سبباً في تشويه سمعتها الدينية فسقطت أهميتها في نظر المسيحيين . وحينما اعتلى عرش الأمبراطورية هنري الثالث اهتم بأمر البابوية وعزم على النهوض بها فعين لها رجالاً من ذوي الكفاءة والمقدرة ؛ وهكذا بدأ البابوات يستعيدون مكانتهم التي كانوا قد أضاعوها خلال القرن العاشر وأخذوا يعملون على إصلاح المساوئ وإعادة المجد البابوي

وأشهر من قام بهذه المهمة الصعبة هو هيلد براند الذي ارتقى عرش البابوية باسم غريغوري السابع ؛ فلقد نظم شؤون الكنيسة تنظيما محكما وقضى على الفوضى فيها وجمع السلطة الدينية في يده وحكم على رجال الدين كبيرهم وصغيرهم أن يخضعوا له دون أخذ ورد . وهكذا مهد السبيل لخليفته أربان الثاني الذي رأى بعين البصيرة أن الظروف أضحت موانية ليقوم بأكبر عمل يعلي به مجد النصرانية وهو إشهار الحروب الصليبية على المسلمين وتخليص الأراضي المقدسة من أيديهم . ولقد اتفق أن هاجت الجيوش السلجوقية الأمبراطورية البيزنطية وهددتها في عقر دارها فهرع الأمبراطور ألكس يطلب النجدة من البابا أربان الثاني ؛ فلما تلقى هذا تلك الاستغاثة رآها فرصة سانحة لبسط سلطان الكنيسة الكاثوليكية على سائر أنحاء العالم النصراني في الشرق والغرب فلبى النداء وقرر السير في ترتيب حملة صليبية كبرى

لقد كان أربان الثاني في قراره هذا يستند على ما كان للكنيسة من قوة ونفوذ في الأوساط المسيحية . إذ أن النصارى يومئذ كانوا لشدة جهلهم يقترفون آثاماً كبيرة ويحملون أنفسهم أوزاراً كثيرة ، ولم يكن أمامهم لرفع تلك الأوزار إلا القيام بالأعمال الصالحة كالحج والصوم وتعذيب الجسم والتقشف في الملبس والمأكل، وكان الحج أهم هذه الأعمال وأكثرها ثواباً. أما القتال في سبيل تخليص بلاد ذلك الحج فهو في نظرهم أهم عمل يقوم به إنسان لأنه يرضى به ضميره ويقدم أعظم تضحية للعالم النصراني الذي ينتمي إليه

أو عدداً من الكتب يفيد الإنسان من مطالعتها طيلة العام

وفي تعرّف فائدة الشعر، لا نقصر نظرنا على أثره في الماضي أو الحاضر فحسب، يقول مستر متيو أرنولد Mr. Matthew Arnold ولم يقم ثمة من هو أحق بالكلام عن الشعر منه : إن مستقبل الشعر عظيم ، فالفكرة في نظمه هي كل شيء ، وما عدا ذلك فهو ضرب من الغرور . في الفكرة تمتزج العاطفة والشاعرية ، فتصبح الفكرة حقيقة . إن أقوى عنصر في الدين في أيامنا هذه هو الجانب الشعري غير المحس فيه

لقد سمي الشعر بحق : سجل أسعد الأوقات وخيرها لخير العقول وأكثرها هناءة ... الشعر ضوء الحياة ، بل هو نفس صورة الحياة ، معبراً عنها بصدق أبدي ... الشعر يخلد كل ما هو خير ، وكل ما كان آية في الإبداع والجمال ... إنه يزيل عن بصيرتنا الداخلية غشاوة الابتذال التي تخفي عنا عجائب الكون ! ما الشعراء إلا مرايا لتلك الظلال الكبيرة التي يلقيها المستقبل على حاضرنا

وفي الواقع أن الشعر يطيل الحياة : إنه يخلق لنا الوقت إذا قيس الوقت بتتابع الأفكار لا بعدد الدقائق ... الشعر هو روح المعرفة، لا يحده زمان ولا مكان ، بل يعيش في روح الإنسان ... فأي مديح خير من أن يقال : إن الحياة يجب أن تكون شعراً مصوغاً في قالب عملي فني جميل

ترجمة بنيامين خليل
مدرس الآداب
بالأقباط الثانوية بالمنيا

لقد انتبه البابا أربان الثاني إلى هذه الحالة النفسية فتشجع في إشهار الحرب وزاد في نشاطه وجود طائفة من الأمراء، ولا سيا النرمنديين منهم سمعوا بكنوز الشرق وسلطان ملوكه وأمرائه العظيم فطمعوا فيهما، وتمنوا لو أتيحت لهم الظروف ليكونوا سادة في ذلك الشرق الساحر مثل أولئك الذين ينعمون بأموال وافرة وجاه عظيم وسلطان مطلق

وصادف أن قحطاً شديداً اجتاح القسم الغربي من قارة أوربا وسبب مجاعة وفقراً وموتاً ولا سيا في فرنسا حيث أهلك الحرث والنسل ومات مئات الألوف من الناس وخربت القرى واقفرت المزارع فبات بسبب ذلك كله معظم سواد الشعب في أشد حالات البؤس والشقاء؛ فلما نادى منادى الحرب الصليبية أقبل أولئك الجياع إقبالاً هائلاً عليها أملاً في العثور على أقواتهم اليومية، وهم بعملهم هـذا يمتثلون أوامر الكنيسة التي كانوا يخشون بأسها وعقابها من جهة، ويحاربون في سبيل تخليص الأرض المقدسة من أيدي المسلمين من جهة أخرى

والحقيقة أن هـذه الحروب لم تكن إلا مظهراً من مظاهر التعصب الديني قامت به البابوية في القرون الوسطى ضد العالم الإسلامي. ولقد أثارها الباباوات وتذرعوا بفرسان الغرب وأمرائه إلى ساحات القتال في الشرق ليحققوا منافع مادية لصالح الكنيسة.

ولقد اشترك فيهـا الملك والأمير والفارس والراجل والنبيل والوضيع والناسك والسارق والراهب والقاتل والتقي والفاجر وكل منهم كان يرمي إلى غاية في نفسه؛ فهذا يريد ملكاً أو إمارة، وذاك يسعى لاكتساب مغنم، وذلك للاغتراف من كنوز الشرق الثمينة. أما السواد الأعظم فقد كان على جهله المطبق لا يريد من وراء تضحياته إلا رضا الكنيسة وتأمين حياة أخروية سعيدة

وهكذا تحركت تلك الجماهير الغفيرة من الغرب إلى الشرق، فكانت حينما تصل إلى البلاد الإسلامية تنقض عليها انقضاض الحيوانات المفترسة فتقتل الناس وتهدم القرى وتحرق ما تجده أمامها من أشجار وزرع ونباتات، وهي بعملها هذا تعتقد أنها تؤدي أقدس واجب تتحمله، وكان الرهبان يشجعون فيهم هذه العقيدة ويستزيدونهم قتلاً ونهباً وتنكيلاً بالمسلمين

وزحفت الحملة الأولى بخيلها ورجلها وشبانهـا وصبيانها ونسائها وحيوانها قاصدة فلسطين مؤتمة بطيور الأوز ومواشي الماعز، وهي عادة حافظ عليها الجرمان من حياتهم الوثنية الغابرة حين كانوا يقدسون كثيراً من الحيوانات بينها الأوز والماعز، ويتبركون بها؛ فلما زحفوا نحو الشرق مشوا وراءها يلتمسون منها النجاح والظفر. وحينما اجتازت الحملة آسيا الصغرى تعرضت لأشد أنواع المحنة والفاقة والعطش، وكان السلاجقة ينقضون عليهم ويحصدون منهم الألوف حتى لم يبق من تلك الجماهير الزاحفة إلا عدد صغير أمكنه الوصول إلى الديار السورية بعد أن كان عددهم يربو على نصف المليون

وحين وصلت الحملة الأولى كان سوء الحظ ملازماً لسوريا بسبب حكامها السلاجقة وهم من السذاجة بمكان، وكان يحارب بعضهم بعضاً فلم يلتفتوا إلى الخطر الصليبي الذي دهم البلاد. وقد أدت هذه الغفلة التي لا تغتفر إلى ضعف الجبهة الإسلامية ضعفاً لا يمكن وصفه إلا إذا تذكرنا تلك الهزيمة الشنعاء التي مني بها كربوغا صاحب الموصل أمام مدينة أنطاكية، فلقد كان يقود جيشاً عظيما فيه أكثر من مائتي ألف محارب بعددهم وأقواتهم الكاملة، ومع ذلك فقد انهزم أمام هيا كل بشرية صليبية مزقتهم الفاقة وأهلكهم الجوع وحصدتهم الأمراض السارية، فسجل كربوغا بحماقته صفحة في التاريخ كلها خزي وعار

ولقد كان لهذه الهزيمة نتائج خطيرة جداً؛ فالصليبي الذي أنهكه التعب وأهلكه الجوع أخذ يتقوى بسرعة عجيبة ويستصغر من شأن المسلم الذي دبت فيه عوامل الضعف والخور فولى مدبراً ولم يعقب تاركا البلاد لأشد أنواع الاعتساف والظلم

هكذا استصغر الصليبيون شأن المسلمين واحتقروا قوتهم المفككة وهزأوا بجبهتهم المتصدعة، فأخذوا ينتقلون من مدينة إلى أخرى، ولا جيش يقف في وجههم، إلا صوتاً ضعيفاً ارتفع من الخليفة الفاطمي بمصر يكلفهم الكف عن اكتساح المدن السورية، ويعرض عليهم صلحاً شريفاً، إلا أن هذا الصوت تبدد بين قعقعة السيوف وهدير الجماهير المسيحية

المتحمسة . وهكذا وصلت حملة الأمراء الأولى إلى فلسطين ، وملكت بيت المقدس . وحين دخلوا المدينة أراقوا دماء المسلمين أنهاراً ، ولجأ اليهود إلى معبدهم فأحرقوه ، فماتوا وسط اللهيب . وفى خلال ثلاثة أيام قتلوا سبعين ألف مسلم ، ولم يرعوا للشيوخ وقار سنهم ، ولا للأطفال حرمة صغرهم ، ولا للنساء ضعفهن ؛ وهكذا برهنوا على همجية مستنكرة وقلوب متحجرة ، لا تجد لها مثيلاً إلا عنـد أجدادهم القبائل المتبربرة أيام اكتساحهم الإمبراطورية الرومانية

وبعد الحملة الثانية التى انتهت بفشل ليس بعده فشل ، رأى منظمو الحملات الصليبية المتاعب والأخطار الجسمية التى لاقاها الصليبيون فى أسفارهم البرية السابقة ، فعدلوا عنها واستبدلوا بها أسفاراً بحرية أفادت الموانئ الطليانية فوائد جمة ، لأن بحارتها أخذوا ينقلون على مراكبهم الجماهير لقاء أجرة طيبة

لقد كانت وطأة الفرسان الصليبيين شديدة بسبب أسلحتهم ودروعهم وتروسهم وبسبب تمرنهم الطويل على أنواع القتال والمبارزة ، فإذا ما خاض أولئك الفرسان حرباً أو موقعة فترت هممهم وضعفت شوكتهم وأخذوا يشكون من حرارة الطقس ومن شدة بأس المحاربين المسلمين . وكانوا ينتهزون أول فرصة ليعودوا إلى بلادهم تاركين الفكرة الصليبية بين يدى أولئك الأمراء ذوى المطامع ورجال الدين الذين انتدبهم البابا لينفذوا أوامره ويشتركوا فى وضع الخطط الصليبية والإقطاعية المختلفة

لقد ملك الصليبيون شواطئ سورية مع بيت المقدس والبلاد الفلسطينية ومقاطعة الكرك عبر الأردن وانشأوا فيها مملكة بالقدس وإمارات ثلاثاً لاتينية إقطاعية فى كل من طرابلس وانطاكية والرها ؛ ثم رحل معظم المحاربين إلى ديارهم ولم يبق منهم إلا آلاف قليلة مسلحة أخذت على عاتقها أمر الدفاع عن تلك الإمارات ؛ وهؤلاء المدافعون هم أولئك الفرسان الذين ارتبطت منافعهم ومصالحهم بمستقبل البلاد الجديدة اللاتينية . وفى تلك الآونة ألف فريق من الرهبان الفرسان وهيئات دينية عسكرية وظيفتها خدمة الفرنج من الوجهة الصحية وتقديم المساعدات الحربية للدفاع عنهم وعن ممتلكاتهم وهذه الهيئات هى الهيكليون أو الداوية والاسبتاليون والتيوتونيون .

ومما تقدم يفهم أنه كان من السهل جداً على أى أمير مسلم يعرف واجباته ويقدر حرج موقف خصومه أن ينقض بجيش مدرب على أولئك الغرباء وأن يقذف بهم إلى لجج اليم ويخلص البلاد من أحكامهم الجائرة وقوانينهم القاسية ؛ إلا أن شيئاً من هذا لم يحصل إلا بعد مضى نحو نصف قرن على امتلاك اللاتين للشطوط السورية .

وأول من تنبه إلى موقف الفرنج الضعيف هو عماد الدين زنكى صاحب الموصل حينئذ ، فلقد شهر عليهم حرباً شعواء ظل لهيبها مستعراً نحو خمسين سنة ، خاض غمارها هو بنفسه مع جيشه المدرب بضع سنين ، ثم مات مقتولاً ، فخلفه فى الجهاد ابنه نور الدين محمود ومن بعده صلاح الدين الأيوبى وانتهت هذه الحرب بظفر صلاح الدين الكبير وامتلاكه بيت المقدس .

لقد قام صلاح الدين بالمهمة التى تلقاها من سيده وأستاذه نور الدين محمود فأداها على أحسن وجه بعد أن انقض على الجيش الفرنجى فى معركة حطين (صيف سنة ١١٨٧) وسحقه سحقاً ، ثم استرد البلاد من أيديهم الواحدة تلو الأخرى ، واسترد بيت المقدس ، فدخلها صلحاً وعامل الفرنج بمنتهى التسامح والشفقة والرحمة ، فكان مثالاً ممتازاً للحاكم العادل والقائد الظافر المتصف بالشهامة والمروءة ؛ وكأنه بتسامحه ومروءته وشهامته يريد أن يلقى درساً فى الأخلاق العالية والشفقة والرحمة على أولئك السفاكين والقتلة الذين ذبحوا سبعين ألف مسلم ذبح الخراف حين احتلوا المدينة المقدسة

ولقد كان فى نيته وفى مكنته أن يطهر البلاد منهم نهائياً ، لو لم تقتله المنية قبل الأوان ، فترك مهمة التطهير النهائى إلى خلفائه من بعده

على أن الجهاد الذى استأنفه خلفاء صلاح الدين ظل قائماً نحو عصر كامل آخر ، وذلك لأن ذلك الجهاد لم يكن متصل الحلقات بل كانت تتناوبه فترات يتقاتل ويتطاحن خلالها الأمراء والسلاطين المسلمون .

فقد تخاصم الملك العادل مع أولاد أخيه صلاح الدين وتقاتل

سائر الأمراء الأيوبيين ، فكان لنزاعهم الأثر السيء في نفوس المسلمين ، إذ ضعفت هممهم وانحطت شوكتهم وقلت قيمتهم ، وهذا ما مكن الفرنج من إطالة الإقامة والحكم في إماراتهم اللاتينية الهزيلة . على أن التقاتل هذا لم يكن يقتصر على الحكام المسلمين ، بل تناول أيضاً أمراء الفرنج في إماراتهم ، فكان يشتد بين الفرنسيس والإنكليز والألمان ، وبين البنادقة وتجار جنوة ، وبين رهبان طائفتي الداوية والإسبتالية . وفي بعض الأحيان كان ينقلب ذلك الخلاف إلى حرب طاحنة تذهب فيها الأرواح الصليبية بلا حساب

والفرنج الذين كانوا يأتون حديثاً إلى الأرض المقدسة كانوا يختلفون مع إخوانهم القدماء من اللاتين المقيمين في هذه البلاد وذلك بسبب الفروق البارزة في عادات وتقاليد كل من الفريقين . فالمشارقة منهم مضى عليهم أكثر من عصر وهم يعيشون في ديار الشرق ويقلدون الشرقيين في مأكلهم ومشربهم ومسكنهم ؛ وصاروا ينظرون إلى مسلمي سوريا نظرة الجار إلى جاره ، فيتعاقدون معهم ، ويبادلونهم السلع ، ويراعون حقوقهم وعهودهم ، وذلك بخلاف حملات الفرسان التي كانت تدهم البلاد بخيلها ورجلها وتعصبها الذميم وقوتها المتناهية ، فقد كان رجالها يجهلون الإسلام والمسلمين ولا يعرفون عنهم إلا أموراً وآراء خاطئة ومشوهة ؛ فإذا ما دهموا بلداً لهم أو قرية انقضوا عليها انقضاض الباشق على فريسته ، وهكذا كان الخلاف يشتد بين فريقي اللاتين القدماء والجدد ، وكان يرمي بعضهم بعضاً بأشنع التهم ؛ فقد كان الغربيون يقولون مثلاً إن المشارقة خونة لا عهد لهم ولا ذمة، يصادقون المسلمين أعداء النصرانية ويتعاقدون معهم؛ أما المشارقة وهم الذين صقلت طباعهم وتهذبت أخلاقهم وهدأت ثورة التعصب الذميم عندهم بفضل مجاورتهم للشرقيين ، فقد كانوا يرون في فرسان الحملات المتتابعة شراسة في الطبع وغلظة في الخلق مع قوة متزايدة وجشع في سفك الدماء وميل غريزي للنهب والسلب ، فكانوا لذلك يحتقرونهم ويخشون بأسهم

ولقد بحث الفارس المسلم والأديب المعاصر أسامة بن منقذ الكناني الشيزري في مذكراته « كتاب الاعتبار » عن اختباراته الشخصية في عادات الأفرنج الصليبيين فقال : ليس عند الأفرنج شيء من النخوة والغيرة ، وهم يعالجون مرضاهم بطرق ابتدائية ، ويحاكمون المذنبين منهم بأساليب غبية عجيبة ، وكل من هو قريب العهد بالبلاد الأفرنجية يكون أجفى أخلاقاً من الذين تبلدوا وعاشروا المسلمين . ثم يذكر أنه نفّذ صاحباً له إلى أنطاكية في شغل ، وكان بها الرئيس تادرس بن الصفي — وهو يقصد يثودوروس صوفيانوس — وكان بينهما صداقة، فقال هذا الصاحب أسامة الموفد إلى أنطاكية يوماً : «قد دعاني صديق لي من الإفرنج : تجيء معي حتى ترى زيهم » ، فمضى المسلم إلى دار فارس من الفرسان العتق الذين خرجوا في أول خروج الإفرنج ، وقد اعتفي من الديوان والخدمة ، وله بأنطاكية ملك يعيش منه ، فأحضر مائدة حسنة وطعاماً في غاية النظافة والجودة ورأى المسلم موقفاً عن الأكل فقال له :

« كل طيب النفس فأنا ما آكل من طعام الإفرنج ولي طباخات مصريات ما آكل إلا من طبيخهن ولا يدخل داري لحم خنزير »

فأكل المسلم وهو محترز ثم انصرف

(فلسطين) ر . التميمي

سـنة . . .

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

سَنةٌ مرّت ولا كلُّ السنين
بين صيف من هوانا وشتاء
وربيع كلما غام أضاء
والضحى والليل حيناً بعد حين

* * *

سنةٌ كان لها نجم فريد
غمر الشمس وغطّى القمرا
ومشى فى حسنه منتصرا
كل برج تحته برج سعيد

* * *

إن يكن لى فى سناه رقباء
فالذى أرصده لم يرصدوه
والذى أنشده لم يَنشدوه
والذى هاموا به عندى هباء

* * *

سنةٌ مرت على روض الغرام
أنبتت فيه فنون الشجر
من رياحينَ وغرسٍ مثمر
وسل الأرواح ما أزكى الطعام

* * *

يومها الأول وافى ودنا
فانس أيامك فى ساعاته
واجمع الصافىَ من لذّاته
جرعةً ، واطرَب عليها زمنا

* * *

جرعة نجمع فيها سكرَ عام
إن شربناها فقد تشربُنا
أو سكبناها فقد تسكبنا
فى الهوى روحين فى كأسِ وئام

* * *

جدد الذكرى وقرّب لى العيان
فهما يا صاحبى بين يدىّ
حضرا الساعة يا صاح لدىّ
ربة الذكرى وذكراها قران

* * *

هات لي الذكرى أراها وترانى
غضةً ملموسة فى راحتىّ
حلوة معسولة فى شفتىّ
جنةً تنبت فى كل أوان

* * *

جنتى لا حيّةٌ تخرجنى
أبداً منها ولا أحياؤها
لا ولا إبليس أو حواؤها
أنا فيها خالد كالزمن

* * *

أنا منها وهى منى فى الضمير
فإذا فارقتها بالنظر
لم يفارقها ضميرى عُمُرى
وله العصمة من مس السمير

* * *

سنةٌ كان لها نجم فريد
هات منها أيها النجم وهات
سنةً ثانيةً بل سنوات
ولنا منك مزيد المستزيد

* * *

أنت يا نجم معيدٌ ما تشاء
لا السموات ولا داراتها
غُنيةٌ عنك ولا أوقاتها
أنت ميقات وشمس وسماء

* * *

أنت تدنيها سماء زُلفا
تنسج الوقت لنا منفردين
لا مشاعا كنسيج النيّرين
بل لنا طوع يدينا وكفى

عباس محمود العقاد

أخبار سلم الخاسر

للأستاذ حسن خطاب الوكيل

هو سلم بن عمرو مولى بني تيم بن مرة ثم مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وكان من سبب تسميته بالخاسر أنه ورث عن أبيه مالاً كثيراً – مائة ألف درهم – أنفقها كلها في طلب الشعر والأدب والموسيقى . كما أنه ورث مصحفاً من أبيه كان لجده من قبل فباعه واشترى بثمنه طنبوراً ، لذلك لقبه بعض أهله وجيرانه بالخاسر وقالوا أنفق ماله على ما لا ينفعه . فأسرها سلم في نفسه ولم يبدها لهم . ومضى في سبيله يجد في طلب الشعر وراويه ، والأدب وذويه ، حتى حاز قصب السبق وصار علماً من أعلامه ، وشاعراً مطبوعاً متصرفاً في فنون الشعر ، وراوية لبشار ابن برد أستاذه ، وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف . ومدح الملوك والأمراء ، وتحدى الشعراء . ومن محاسن الصدف أنه مدح المهدي العباسي بقصيدة فأعجب بها وأمر له بمائة ألف درهم ، وكان المهدي على علم بسبب تسميته بالخاسر ، فقال خذ هذا المال وكذب به جيرانك ؛ فجاءهم سلم بالمال وقال لهم هذه المائة ألف درهم التي أنفقتها وربحت الأدب . فأنا إذاً سلم الرابح لا سلم الخاسر

وحدث أن أستاذه بشار بن برد بعثه إلى عمر بن العلاء بقصيدة مدحه بها وهي التي يقول فيها :

إذا نبهتك صعاب الأمور   فنبه لها عمراً ثم نم

فلما جاءه سلم بها وأنشده إياها أمر عمر بن العلاء بمائة ألف درهم لبشار بن برد ؛ فلما رأى سلم المال الموهوب لأستاذه بشار تحركت نفسه وتلمظت شفتاه إلى نيل جائزة له أيضاً . فقال لعمر بن العلاء إن خادمك – يعني نفسه – قد قال في طريقه إليك قصيدة فيك . فقال له عمر – فإنك لهناك – فأجابه سلم . تسمع ثم تحكم ، فقال عمر هات فأنشده قوله :

قد عزني الداء فمالي دواء   مما ألاقي من حسان النساء
قلب صحيح كنت أسطو به   أصبح من سلمى بداء عياء
أنفاسها مسك وفي طرفها   سحر ومالي غيرها من دواء

إلى أن قال :

كم كربة قد مسني ضرها   ناديت فيها عمر بن العلاء

فأعجب بها عمر وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت عطية سنية لم تخطر له ببال

وكان من خبره أنه حدث بينه وبين أستاذه بشار فتور وانقطاع بسبب أنه أخذ معنى لبيت من شعر بشار وصاغه في بيت له قفى به على بيت بشار وسارت بحديثه الركبان ، وأصل البيت من قصيدة لبشار :

لا خير في العيش إن دمنا كذا أبداً   لا نلتقي وسبيل الملتقى نهج
قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم   ما في التلاقي ولا في غيره حرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجته   وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فعمد سلم الخاسر إلى البيت الثالث وصاغه هكذا :

من راقب الناس مات غماً   وفاز باللذة الجسور

فبينا بشار بن برد في منزله إذ دخل عليه أبو معاذ النميري فقال له : لقد قال سلم الخاسر بيتاً من الشعر هو أحسن وأخف على الألسن من بيتك ، فقال له بشار وما هو ؟ أنشدنيه . فأنشده قول سلم :

من راقب الناس مات غماً   وفاز باللذة الجسور

فقال بشار : سار والله بيت سلم وخمل بيتنا . وكان كذلك إذ لهج الناس ببيت سلم وصار مثلاً من الأمثال السائرة ؛ أما بيت بشار فلم يتمثل به أحد ؛ فغضب بشار من سلم وحلف ألا يدخل عنده ولا يفيده ولا ينفعه ما دام حياً . فلما علم سلم بذلك وطال عليه جفاء أستاذه شق عليه ذلك فاستشفع إليه بكل صديق له ، وكل من يثقل عليه رده ، فكلموه فيه ؛ فبعد اللتيا والتي قال بشار : أدخلوه إلي ، فاستدناه ، فلما كلمه قال : إيه يا سلم ! من الذي يقول : من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... الخ . قال سلم : أنت يا أبا معاذ ، جعلني الله فداك . فقال بشار : فمن الذي يقول :

من راقب الناس مات غماً   وفاز باللذة الجسور

قال سلم تلميذك وخريجك وعبدك يا أبا معاذ

فاجتذبه بشار إليه وقنعه بمخصرة كانت بيده ثلاثاً وقال له : يا فاسق ! أتجيء إلى معنى قد سهرت له عيني، وتعب فيه فكري، وسبقت الناس إليه ، فتسرقه ثم تختصره لفظاً تقربه به لتزرى علي وتذهب ببيتي ؟ فحلف له سلم ألا يعود لشيء مما يكرهه وينكره منه ، فرق له ورضي عنه

ومن طريف ما حدث لسلم الخاسر أن أبا العتاهية حقد على سلم وحسده على ما يناله من الحظوة والجوائز عند الملوك والأمراء فأرسل إليه ببيتين من الشعر يرميه فيهما بالحرص وهما :

تعالى الله يا سلم بن عمرو   أذل الحرص أعناق الرجال

هب الدنيا تصير إليك عفواً   أليس مصير ذاك إلى الزوال

فلما قرأهما سلم غضب من أبي العتاهية وقال : ويلي على الجرار ابن الفاعلة الزنديق ! زعم أني حريص وقد كنز البدر وهو يطلب الزيد ، وأنا في ثوبيّ هذين لا أملك غيرهما ، ولما سُرّي عنه كتب إليه هذه الأبيات :

ما أقبح التزهيد من واعظ   يزهد الناس ولا يزهد

لو كان في تزهيده صادقاً   أضحى وأمسى بيته المسجد

ورفض الدنيا ولم يلقها   ولم يكن يسعى ويسترفد

يخاف أن تنفد أرزاقه   والرزق عند الله لا ينفد

الرزق مقسوم على من ترى   يناله الأبيض والأسود

كل يوفى رزقه كاملا   من كف عن جهد ومن يجهد

* * *

هذا فصل في الكلام قد ساق إليه البيان عن بعض أخبار سلم الخاسر تفكهة للقراء ، ولنتخذه دليلاً ثانياً وحجة ناصعة في إثبات أن الجزء الحادي والعشرين من كتاب الأغاني هو من الأغاني ، وسبق أن قدمنا في حجتنا بقصة إسحاق الموصلي وغلامه زياد ، وأنها لم تذكر إلا في الجزء الحادي والعشرين منه وأقرها ابن منظور في مختصره « الأخبار والتهاني » ، فكذا هنا قصة سلم الخاسر مع أهله وجيرانه ، وسبب تسميته لم تذكر إلا في الجزء الحادي والعشرين من الكتاب ، وهي بطبيعة الحال جاءت في مختصر الأغاني (حرف السين) ، ولولا ذهاب المخطوطات إلى المخابئ لأتينا بالنص كما هو مدون في محله ، والله يهدى السبيل

حسين خطاب الوكيل

المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

تأليف المستشرق الانجليزى ادورد وليم لين

للأستاذ عدلى طاهر نور

مقدمة المؤلف — القاهرة سنة ١٨٣٥

فى زيارة سابقة للقاهرة قصدت بها — على الأخص — دراسة اللغة العربية فى أشهر مدرسة، جملت أكثر همى ملاحظة شمائل المصريين المسلمين وعاداتهم؛ وسرعان ما أدركت بعد معاشرة هذا الشعب سنتين ونصف سنة أن كل ما أمكننى الحصول عليه سابقاً من الأخبار المتعلقة بهم، لا يكفى ليكون ذا فائدة كبيرة لمن يَدْرُس الأدب العربى، أو ليقضى حاجة القارئ العادى. لذلك رغبت فى تدوين الملاحظات عن أشهر عاداتهم لأستزيد لنفسى من جهة، ولأستطيع أن أزيد فى معرفة مواطنى بالطبقات المتحضرة لأمة من أهم أمم العالم من جهة أخرى، وذلك برسم صورة مفصلة عن سكان أكبر مدينة عربية.

إلا أن زيارتى الأولى لم تكف لبلوغ هذا الغرض مع متابعة دروسى الأخرى، فصرفت النية عن نشر ما قيّدته عن المصريين المحدثين. وبعد خمس سنوات من عودتى إلى انجلترا عُرضت هذه المذكرات على بعض أعضاء من لجنة جمعية نشر المعارف المفيدة Commettee of the Society for the diffusion of useful knowledge فاستحسنوها وأوعزوا إلى اللجنة أن تمنى بموضوعاتها، وطرافة بعض محتوياتها، فعهدت إلىّ تكملتها ثم طبعها. وقد كان ذلك حافزاً لى على قبول النصيحة ومتابعة العمل. وفى أقرب فرصة عدت ثانية إلى مصر. وبعد أن أقمت أكثر من سنة فى عاصمة ذلك البلد، ورحلت نصف سنة فى الوجه القبلى، أتممت — بقدر ما استطعت — العمل الذى تعهدت به

قد يقال إن القارئ الإنجليزى استفاد من كتاب الدكتور رَسِل Russel عن أهل حلب وصفاً صادقاً لشمائل العرب وعاداتهم؛ ولا أحب أن أصم أمانتى الكتابية التى أدعيها بمحاولة التقليل من المزايا الحقيقية لهذا الكتاب القيم؛ ولكن يجب أن أؤكد أن الكتاب فى مجموعه قد وصف العادات التركية أكثر مما وصف العادات العربية، وأن المؤلف الأصلى وأخاه الذى ندين له بالطبعة المزيدة المنقحة، لم يكونا يعرفان اللغة العربية معرفة كافيـة لإنمام النظر فى بعض ما يقتضى وضع الكتاب معالجته من الموضوعات المهمة، ولم يكن منصبهما المعروف فى حلب ولا شعورهما الوطنى يسمحان لهما أن يتنكرا هذا التنكر الضرورى الذى يمكنهما من إبلاف الكثير المهم من الحفلات الدينية، والأفكار الاجتماعية، والأساطير الشعبية، التى قاما بوصفها. فنقص الملاحظة هو الخطأ الوحيد الذى استطعت أن أكشف عنه فى كتابهما العلمى الجليل

أما ظروفى فكانت غير ذلك. فقبل قدومى الأول إلى هذا البلد شدوت شيئاً من العلم بلغة العرب وآدابهم. وكنت أستطيع — بعد سنة من قدومى — أن أتحدث إلى الشعب الذى كنت أعيش بين أفراده فى شىء من السهولة. وقد عايشت بصفة خاصة مسلمين من جميع الطبقات؛ وأخذت إخذَهم فى الحياة العامة. وكنت أصرح دائماً أننى أوافقهم على آرائهم كلما سمح بذلك ضميرى اكتساباً لصداقتهم وإخلاصهم؛ وفى أحوال كثيرة أخرى أمسكت عن مخالفتهم فى الرأى، بقدر ما امتنعت عن أى عمل ينفرون منه. فأمسكت عما يحرمه دينهم من الطعام والشراب، وتركت ما لا يألفونه من العادات والأساليب: كاستعمال الشوك والسكاكين. واستطعت بفضل ألفتى لحفلاتهم الدينية العامة أن أشاهد أعيادهم وطقوسهم، من غير أن أثير الشك فى أننى أجنبى لا يحق له التدخل فى شؤونهم. وبينما كان العامة يظنوننى تركياً — من ملابسى التى وجدتها أكثر ملاءمة لى —

كان أصدقائى يعرفون طبعاً أنى إنجليزى . ولكنى ألزمتهم أن يعاملونى معاملة المسلم باعترافى مختاراً بأثر العناية الإلهية فى ظهور الإسلام وانتشاره، وبإقرارى، عند ما أُسأل، باعتقادى فى المسيح طبقاً لما جاء فى القرآن من أنه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه . وهكذا حسَّن رأيهم فىَّ وقويت ثقتهم بى، ولكن إلى حدلم يغننى عن مجابهة بعض الصعاب . والمسلمون يكرهون أن يبوحوا بشىء يتعلق بدينهم أو بأساطيرهم للذين يشتبهون فى أنهم يخالفونهم فى العاطفة؛ ولكنهم لا يأبون الكلام فى هذه الموضوعات مع من يعتقدون أن بينه وبينهم معرفة وألفة . لذلك كنت أعمد إلى سؤال الذين هم أكثر تساهلاً وأقل علماً لأجهل الذين هم أوسع معرفة وأضيق صدراً على الكلام فى المسائل التى أريدها . وبهذه الطريقة نجحت فى التغلب على ترددهم . وكان لى أستاذان للعربية وآدابها، وللدين الإسلامى وفقهه ، يدرسان لى بانتظام وبأجر . وكنت أسألهما عما أشك فيه لأحقق ما سمعته فى أحاديثى مع أصدقائى ، أو أصححه أو أضيف إليه . وأحياناً كنت أتصل بالسلطات العليا ، وكان من دواعى غبطتى أن أعد بين أصدقائى فى هذه المدينة بعض رجال بلغوا شأواً بعيداً فى المعارف الشرقية

وربما يفيد القارئ أن أعرِّفه بأحد معلمىَّ اللذين أشرت إليهما آنفاً، وأن أبين له فى الوقت نفسه كيف كان كثيرٌ من مواطنيه ينظر إلىَّ : ذلك هو الشيخ أحمد (أو السيد أحمد ، لأنه من طبقة «الأشراف» الكثيرة العدد : أى من سلالة النبى) وكانت سنه تربى على الأربعين باعترافه ، ولكن يبدو عليه أنه يناهز الخمسين . وكانت سحنته وخليقته تستحقان الذكر : كان ربعة إلى القِصر ، وكان أصهب اللحية قد وشمها الشيب . ويظهر أن العوَر قد أصابه منذ سنوات عديدة . وهو يكحل عينيه فى المناسبات الخاصة ولا سيما فى عيدى الفطر والأضحى . والكحل قلما يستعمله غير النساء . وهو لا يفتخر بانتمائه إلى الرسول فحسب ، بل يتمدح كذلك بانتسابه إلى الولى المشهور الشعراوى(1) . وبشرته الصافية تؤيد ادعاءه أن أجداده عاشوا منذ أجيال فى مناطق أفريقيا الشمالية الغربية . وكان يعيش على ميراث قليل مع اتجاره فى الكتب . وكان يزورنى كل ليلة تقريباً لينتفع من مهنته من ناحية ، وليجتمع بى ، أو ليتحدث إلىَّ للتدخين وشرب القهوة من ناحية أخرى

وكان قبل احترافه تجارة الكتب وراثةً عن أبيه، قد قضى بضع سنوات لم يحترف فيها غير الذكر فى الحفلات الصوفية . والذكر عبارة عن جماعة يقفون مترنحين يرددون اسم الله وصفاته الخ . وهو لا يزال إلى اليوم يقوم بهذا العمل . وكان حينئذ درويشاً فى الطريقة السعدية ، وأهل هذه الطريقة معروفون على الأخص بأكل الثعابين الحية . ويقال إنه كان واحداً من آكلى الثعابين ، ولكنه لم يقصر نفسه على أكل بعضهم بمثل هذه السهولة . ففى ذات ليلة بينما كان فريق من أهل طريقته فى حفل حضره شيخهم ، اعترت صديقى جذبة ، فخطف زجاجة طويلة كانت تحيط بقنديل موضوع على الأرض وأكل جزءاً كبيراً منها . . . فدهش الشيخ والدراويش الآخرون ، ونعوا عليه خروجه على نظم الطريقة ، لأن أكل الزجاج لم يكن من الكرامات التى كان يسمح لهم بإظهارها . ثم طردوه فى الحال ، فدخل فى الطريقة الأحمدية . ولما كان أهل هذه الطريقة هم أيضاً لا يأكلون الزجاج ، فقد عزم على ألا يعود إلى فعلته مرة أخرى ... غير أنه بعد ذلك بقليل أخذته هذه الجذبة فى اجتماع بعض الإخوان من أهل الطريقة وفى حضرة كثير من رجال الطريقة السعدية ، فوثب على شمعدان وقبض على مصباح من مصابيحه الزجاجية الصغيرة ، فابتلع نصفه وشرب ما فيه من الزيت والماء . فقادوه إلى شيخه ليعزره على هذا التعدى ، ولكنه أقسم ألا يعود إلى أكل الزجاج أبداً ، فعفا عنه وأبقاه فى الطريقة . وعلى الرغم من حلفه اليمين لم يلبث أن عاد إلى ديدنه من أكل الزجاج . وقد حاول أحد الحاضرين من الإخوان أن يقلده فنشبت قطعة كبيرة من الزجاج بين لسانه وسقف حلقه، وقد شق على صديقى أحمد استخراجها . فأعيد ثانية إلى شيخه ، ولما لامه على الحنث بقسمه والرجوع فى توبته أجاب بهدوء : أتوب مرة أخرى . وما أحسن التوبة ، لأن الله قال فى

(1) هكذا ينطق عادة ، بدلا من الشعرانى

كتابه العزيز : « إن الله يحب التوابين » فصاح الشيخ مغتاظاً : أتجرؤ على هـذا التصرف ثم تستشهد بالقرآن أمامي ؟ » ثم أمر بعد هذا التوبيخ أن يسجن عشرة أيام . ثم طلب منه القسم مرة أخرى على أن يقنع عن أكل الزجاج . وبهذا سمح له بالبقاء في الطريقة الأحمدية ؛ وقد حرص على أن يبر بقسمه هذه المرة

وقد قص عليّ هـذه الوقائع مَن كان مكلفاً بمراقبته من الإخوان ثم اعترف لي هو بعد ذلك بحقيقتها

وقد عرفت الشيخ أحمد قانعاً بزوجة واحدة من زمن طويل؛ إلا أنه سمح لنفسه الآن بزوجة أخرى[1] استمرت تعيش في منزل أهلها . ومع ذلك فقد اهتم بأن يؤكد لي أنه ليس من الغنى بحيث يرفض الكسوة السنوية التي أهديها إليه . وفي زيارتي الثانية لمنزله أثناء إقامتي الحالية في هذا المكان حضرت أمه لدى باب الغرفة التي كنت جالساً فيها معه ، لتشكو إليّ سوء عمله باتخاذه زوجة جديدة . وكانت تشير بيديها من خلال الباب بالحركة اللائقة ليكون لكلامها تأثير ؛ أو لعلها كانت تريد أن تظهر جمال راحة اليد وأطراف البنان المخضوبة بالحناء الرطبة . إلا أنها كانت تستر شخصها ، فأخذت تناشد شعوري بقوة وتقول :

« يا أفندي ! إني أضع نفسي تحت رحمتك ! أقبل قدميك ! لا أمل عندي إلا في الله وفيك »

فقلت لها : « ما هذا الكلام يا سيدتي ؟ أي مصيبة أصابتك؟ وماذا أستطيع أن أصنع لك ؟ أخبريني »

فاستمرت تقول : إبني هـذا ، إبني أحمد ، شخص لا قيمة له . له زوجة طيبة ، عاش معها سعيداً على بركة الله ستة عشر عاماً . وها هو الآن يهملها ويهملني ويتخذ زوجة أخرى صغيرة السن قليلة الحياء ... وهو يبـدد نقوده على هذه القردة وعلى غيرها من أمثالها ، وينفق على أبيها وأمها وأعمامها وأخيها وأولاد أخيها ، ولا أعلم من عداهم ، ثم يقصر في حقنا — أنا وزوجته الأولى — ولا يوفر لنا الراحة التي تعودناها من قبل ... والنبي ! ورأسك الغالي ! إنني أقول الحق ... أقبل قدميك ، أرجوك أن تلح في تطليق زوجته الجديدة ...

وكان الرجل المسكين أثناء مخاطبة أمه لي من وراء الباب ينظر بغباء ، وما كادت تذهب حتى وعد بتحقيق رغباتها ... ثم قال : على أن المسألة صعبة ، فقد كنت متعوداً أن أنام أحياناً في منزل شقيق البنت التي تزوجتها أخيراً ، وهو يشتغل كاتباً عند عباس باشا ... ومنذ أكثر من سنة ، أرسل عباس باشا في طلبي وقال : سمعت أنك تنام غالباً في منزل كاتبي محمد ... لماذا تفعل هذا ؟ ألا تعلم أن هذا غير لائق وفي المنزل نساء ؟ ...

فقلت : سأتزوج من أخته ...

فسألني الباشا : إذاً لماذا لم تتزوجها من قبل ؟

— لأن سنها تسع سنوات فقط !

— هل عقد العقد ؟

— لا ...

— ولم لا ؟

— ليس في قدرتي الآن دفع المهر

— وما مقدار المهر ؟

— تسعون قرشاً . فقال الباشا

— هاك إذاً النقود ... وليعقد العقد حالاً

فهكذا ترى أنني اضطررت إلى التزوج من البنت ، وأخشى أن يغضب الباشا إذا طلقتها ؛ ولـكني سأتصرف تصرفاً يجعل أخاها يشدد في طلب الطلاق ، ويومئذ أعود ثانية إلى عيش السلام والهدوء . وهذا مثل طيب للراحة التي ينعم بها من يتزوج اثنتين !

ومنذ وقت قريب عرض علي نسخة من القرآن لأشتريها ، وظن من الضروري أن يلقي إليّ بعض المعاذير . وقد لاحظ أنني من طول ما ألفت طقوس المسلمين أقر ضمناً أنني واحد منهم ، وأن من الواجب عليه أن يعتبرني أحسن اعتبار ، وأنه يفعل ذلك مطمئن النفس ، لأنه يعلم أن اعتقادي علانية بالإسلام يُغضب عليّ مليكي ، وأنه لأجل ذلك لا يمكنني أن

---

(١) وقد قال لي إنه تزوج أكثر من ثلاثين مرة ، ولـكني أعتقد أنه يبالغ كثيراً

أفعل هذا[1] وقال لى « إنك تحيينى بقولك : السلام عليك . لذلك أكون آثماً لو قلت أنك كافر ، لأن الله عز اسمه قال : ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً » . ثم أضاف إلى ذلك قوله : « وعلى هذا ليس حراماً أن أضع بين يديك القرآن الكريم . ولكن من مواطنيك من يأخذه بيده القذرة ، بل ويجلس عليه . وأنا أستغفر الله من مثل هذا الكلام وأستبعد أن تفعل هذا وأنت والحمد لله تعرف أنه : « لا يمسه إلا المطهرون » وتراعيه . وفى مرة أخرى باع نسخة من القرآن بناء على طلبى لمواطن لى ؛ وفى أثناء انعقاد الصفقة دخل الغرفة إنسان ، فانزعج مواطنى وأسرع فوضع الكتاب على المقعد وخبأه بجزء من ملابسه . فأخجل هذا العمل الكتبى ، وظن أن صديق جلس على الكتاب ، وأنه يفعل هذا احتقاراً له ؛ فلم يخف باعتقاده أن الله سيعاقبه أشد عقاب على هذا البيع الحرام ؛ وكان هناك شىء واحد صعُب علىّ أن أقنعه بعمله أثناء زيارتى السابقة لهذا البلد ؛ وهو أن يذهب معى فى وقت خاص إلى مسجد الحسنين — وهو المدفن المشهور لرأس الحسين — وأقدس المساجد فى العاصمة المصرية . وبعد ظهر يوم من أيام رمضان كنت أمشى وإياه أمام أحد أبواب هذا الجامع ، وكان ساعتئذ يغص بالأتراك ، وكثير من سكان المدينة العظماء بين الحشد ... فظننت أنها مناسبة طيبة لأشاهده من كثب ، وطلبت من رفيقى الدخول معى فرفض بحزم خوفاً من أن يُعرف أننى انجليزى ، وكان من الممكن أن يثير ذلك غضب المتعصبين من الأتراك الموجودين هناك فأعرض نفسى إلى بعض الأذى . فدخلت وحدى وبقى هو بالباب يتبعنى بعينه الوحيدة متعجباً من جرأتى ؛ فلما رآنى عارفاً بالأساليب العادية : أطوف حول الستر البرنزى المحيط بالضريح ، وأقوم بأوضاع الصلاة المنتظمة ، دخل وأقام صلاته بجانبى

وأود بعد سرد هذه الحكايات أن أذكر أن أخلاق أصدقائى الآخرين لا يلاحظ عليها مثل هذا الشذوذ . وكان استقبالى لضيوفى لا يخرج عن عادات الضيافة الشرقية المألوفة . كنت أقدم إليهم الشبك والقهوة وأدعوهم إلى مشاركتى الغداء أو العشاء . وقد كتبت الكثير من أخبارهم بالعربية بإملائهم ثم ترجمتها إلى الانجليزية ونشرتها فى هذه الصفحات

والقصد الأول من وضع هذا الكتاب هو تمحيص الأشياء وتحقيق الحوادث ؛ فلم أضح بالحقيقة فى سبيل تجميل القصة . أما الصور التى نشرت فيه فقد رسمتها للشرح لا للزينة .

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) من الاعتقادات الشائعة لدى المصريين أن كل سائح أوربى يزور بلادهم يكون رسولا من ملك بلاده ، ومن الصعب إقناعهم بالعكس إذ هم يستغربون تعرض الشخص لكثير من المضايقات والنفقات بقصد الحصول على معارف الأمم الأجنبية .

حول التعليم الإلزامي

هؤلاء الجنود المجهولون

للأستاذ محمد كامل حتة

إلى الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

ليس عجيباً أن يجرى قلمك فى قضية المعلم الإلزامى بما جرى به من البيان الرائع والدفاع المحكم والحجة البالغة ؛ فإن هذا القلم الذى وقفته على نصرة الحق فى جميع صوره وقضاياه خليق بأن يكون له فى هذه القضية بلاء يزلزل جوانب البغى ، ويفضح مسارب الهوى ، ويسفر عن أوجه الحق وضيئة ساطعة !

إن قضية المعلم الإلزامى ، هى فى الواقع ومع النظر الدقيق ، ليست إلا قضية الأجيال المقبلة التى تتكون على يديه وتنطبع على غراره . وليس من اليسير أن نتصور حياة هذه الأجيال ومظاهر وجودها شيئاً منفصلاً عن حياة هذا المعلم الإلزامى ومظاهر وجوده . ومن هنا كان الوضع الحاضر للمعلم الإلزامى جريمة فى حق الشعب الذى تتصايح الدعوات فى كل مكان بالحرص على مستقبله والرغبة فى إنصافه وإسعاده . وكان المقياس الصادق للوطنية فى مصر ما يبذل فى سبيل المعلم الإلزامى من جهود مخلصة ، تهيئ له النهوض بأعبائه الثقال فى مكافحة الجهل والفقر والمرض والانحلال ، وتنشئة الأجيال القادمة على الصورة التى تتحقق بها معانى الوجود ومقومات الحياة ...

أما أن يضيق على المعلم الإلزامى فى الرزق ، حتى لا يكاد يقيم أوده ويستمر مظاهره ويلحق بقافلته ؛ ثم يحمل من الأعباء الثقال عملاً مرهقاً وحساباً عسيراً وتقديراً مجحفاً ، ثم تتكأكأ عليه التهم الجائرة والدعايات النكراء ، فتلك إساءات مؤذية ، أهون مظاهرها أن تصيب أشخاص المعلمين الإلزاميين وأسرهم ، وأخطر حقائقها أنها تصيب الشعب فى آماله ومستقبل أجياله ؛ لأن هذه الأجيال لن تكون إلا صورة مضطربة من هذه الحياة الشقية التى يحياها أولئك المعلمون ، مهما حبرت وزارة الشئون الاجتماعية فى مجلتها من الصحائف ، ومهما افتنت فى وضع البرامج الأخاذة والمشروعات الموشاة ، ومهما تباكى أدعياء الإصلاح غيرة على مستقبل هذا الشعب البائس المحروم !

ولعل من الحقائق المؤلمة أن التراث الذى أورثتنا إياه القرون المتعاقبة على مصر قد وضع المعلم الإلزامى فى مركز دقيق جعله هدفاً لكثير من الأفراد والجماعات ، ترى فى وجود هذا المعلم وفى طبيعة عمله خطراً تخشى مغبته على كثير من الأوضاع التى يرزح الشعب تحت أثقالها ، ولا حياة لهؤلاء الأفراد والجماعات إلا فى ظل هذه الأوضاع الجائرة ؛ ومن هنا كانت الحملات على المعلم الإلزامى فى كثير من الأحيان حملات مغرضة ، تلبس ثوب الحق وهى من صميم الباطل ، وتتظاهر بالإصلاح وهى ترمى إلى الهدم ؛ وقد انساق فى هذا التيار الجارف كثيرون عن حسن قصد وبراءة ضمير ، من غير أن يفطنوا إلى هذه البواعث الخفية ومن غير أن يبذلوا فى سبيل الإصلاح ما ينبغى من جهود ...

ومن الأمور التى تستوقف النظر وتدعو إلى التفكير الطويل أن فى وزارة المعارف ثلاثة رجال بأيديهم مقاليد الأمر فى هذه الوزارة التى تتولى شئون التعليم الإلزامى ، وكلهم قد أبلى فى بحث هذه المشكلة البلاء العظيم ، واستطاع أن يلمس مواطن الداء ويقرر وسائل العلاج ، وأن تكون له آراء جديرة بالتنفيذ لإصلاح حال المعلم الإلزامى الذى يتوقف على صلاح حاله صلاح المجتمع الذى يعيش فيه ، ومع هذا فإن تلك الآراء القيمة التى سجلها هيكل وطه والسنهورى فى صحائف الكتب والمجلات ، لم يكن حظها على أيدى أصحابها وقد مكنتهم الأقدار من العمل والتنفيذ ، أكثر من حظ ما يسطره كاتب مثلى قد تعوزه القدرة على إعلان رأيه ، قبل أن تعوزه القدرة على تحقيق الرأى الذى يريد !

إنى لأشفق على مشكلة التعليم الإلزامى فى وزارة المعارف إذا لم تحل فى عهد هؤلاء الثلاثة الذين ارتبطوا بمناهج قوية فى الإصلاح ، وإلا فهل من اليسير أن تجود الأيام بمجموعة كهذه ، اجتمعت على الرأى المتحد والمبدأ المشترك والقدرة المتاحة لتحقيق الآمال ؟

(القاهرة) محمد كامل حتة

لياليّ القاهرة

الكأس . . .

للدكتور ابراهيم ناجي

لاتَبْكِهَا ذَهَبَتْ وَمَاتَ هَوَاهَا   فى القَلْبِ مُتَّسَعٌ غدًا لِسِوَاهَا
أَحْبَبْتَهَا وَطَوَيْتَ صَفْحَتَهَا وكم   قَرَأَ اللَّبِيبُ صَحِيفَةً وَطَوَاهَا
يَاشَاطِئَ الأَحْزَانِ كَمِنْ مَوجَةٍ   هَبَّهَا ارْتِطَامَةَ مَوْجَةٍ وَصَدَاهَا
تِلْكَ الوَلِيدَةُ لم تَطُلْ بُشْرَاهَا   لَمَّا تَكَدْ تَطَأُ الثَّرَى قَدَمَاهَا
زَفَّ الصَّبَاحُ إلى الرِّمَالِ نِدَاءَهَا   وَسَرَى النَّسِيمُ عَشِيَّةً فَنَعَاهَا
هَاتِ اسْقِنِى وَاشْرَبْ عَلَى سِرِّ الأَسَى
وَعَلَى صُبَابَةِ مُهْجَــــةٍ وَجَوَاهَا !
مَهْلاً نَدِيمِى كَيْفَ يَنْسَى حُبَّهَا   مَنْ يَنْشُدُ السَّلْوَى عَلَى ذِكْرَاهَا
مَازِلْتَ تَسْقِينِى لِتُنْسِينِى الجَوى   حَتَّى نَسِيتُ فَمَا ادَّكَرْتُ سِوَاهَا
كَانَتْ لَنَا كَأْسٌ وكَانَتْ قِصَّةٌ   هَذا الحُبَابُ أَعَادَهَا وَرَوَاهَا
كأسِى وَشَمْسُ هَوايَ ، والسَّاقى الذى
عَصَرَ الشُّــعَاعَ لِمُهْجَتِى وَسَقَاهَا
الآنَ غَشَّاهَا الضَّبَابُ وَهَا أَنَا   خَلْفَ المَدَامِعِ وَالهُمُومِ أَرَاهَا
غَالَ الفَنَاءُ حُبَابَهَا وَضَبَابَهَا   وَتَبَخَّرَتْ أَحْلاَمُهَا وَرُؤَاهَا !

ابراهيم ناجى

من الشعر الرمزى

فى مفرق الطريق

للأستاذ سيد قطب

بين نفسين من النفوس الكثيرة التى تعيش فى الانسان الواحد متفرقة فى بعض الأحيان . دار هذا الحوار . . . فأما إحداهما فتتعلق بماض عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه ، وأما الأخرى فتنزع إلى العزاء بالتطلع الى جديد :

أنتَ أوغلتَ فى الظلام طويلا   فتى يا رفيقُ تبغى القفولا ؟
شدَّ ما آدَنَا التخبط فى الليل   وخِفْنا ظـلامَه المدخولا !
ورأيْنا الأوهامَ تبـدو شُخُوصا
ورأينا الشخوصَ تبـدو هَيُولَى
وَخَبَرْنا فـلم نُفِدْ باختبار   وسخرنا مما خبرنا طويلا
يا رفيقى . إذا قَدِرْتَ فأوِّبْ   إن هذا الظلام يُضنى العقولا

* * *

أنا أخشى الضياء أبصر فيه   ذكرياتى تبدَّلت تبديلا
أنا أخشى النهارَ يكشف عني   كلَّ وَهْمٍ أرودُه تعليلا
أنا يا صاحبى أُشِيحُ بوجهى   أن أرى عهدنا تَرَدَّى قتيلا
أنا يا صاحبى أُدافعُ عقلي   أن يَرُودَ اليقينَ جهماً ثقيلا
الظلام الظلام أروحُ للقلب   ولو كان لا يريح العقولا !

* * *

يا رفيقُ . الحياةُ أسمى وأغلى   أن تُقَضَّى كذاك وَهْماً ضئيلا
يا رفيقُ . الحياةُ أقصرُ عهداً   أن تُضَحَّى ساعاتها تخييلا
أُبْ من الظُّلْمَةِ الحبيبةِ واهجرْ   كلَّ ما كان فى الحياة الأولى
وَتَطَلَّعْ إلى جمالٍ جديدٍ   أفَلَمْ تَلْقَ فى الحياةِ جميلا ؟
عِشْ بما قد وُهِبْتَهُ من حياة   مُستَثَارَ الإحساس نهماً عجولا

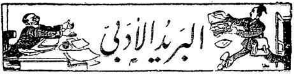
* * *

آهِ يا صاحبى . أتجهلُ أنى
أفقدُ الدارَ (1) إن فقدتُ الطلولا
ذاك عهدٌ أنفقتُ فيه رصيدى   كلَّهُ لم أُبَقِّ منه قليلا
أتراني أجدِّدُ الذُّخرَ والعمرُ (م) مُوَلٍّ والجهدُ أمسى هزيلا ؟
أنا باقٍ هنا فإن شئتَ دعنى   ورِدِ الكونَ حافلا مأهولا
أنا باقٍ هنا أرودُ طُلولى   لم أعُدْ بعدُ أستطيبُ القفولا !

(حلوان)   سيد قطب

---

(1) أل هنا للجنس . والمعنى : أنى أفقد جنس الدار كله لو فقدت هذه الطلول . إذ ليست هناك دار لى سواها



من سوء الترجمة أيضاً . . .

تكلمت فى العدد ٤١٨ من الرسالة على قولهم (من جديد) وأوضحت أن هذا التركيب مما جناه جهلة المترجمين ، وأن كتابنا وبلغاءنا قبلوه من غير تفكير ولا بحث ، فوشج بلغتنا(١) ، وعاد مما لا يستطاع استئصاله منها — كغيره من الطفيليات التى أغارت عليها — إلا بطويل جهاد وكبير عناء

ثم تذكرت بعد أن كتبت تلك الكلمة أنى كنت قد قيدت فى كناشتى طائفة مما فشا بيننا من أمثلة سوء الترجمة . فعدت إليها ، وتخيرت منها ما أرجو أن أوفق لنشره فى هذه المجلة كما ساعفت الفرصة

فمن ذلك استعمال « عَبْر » (مصدر عبَر النهر وغيره : إذا قطعه إلى الجانب الآخر)(٢) ترجمة للكلمة الإنجليزية (across) فجعلوها فى نسج الكلام ظرفاً — كما يصنع الإنجليز بكلمتهم — فأخرجوها عن معناها ووضعها اللغوى بلا مسوغ مطلقاً(٣)

وكثيراً ما نراها هكذا فى البرقيات والتعليقات الحربية ، وفى وصف الغارات والحركات العسكرية ، وفى الخطب السياسية وغير ذلك

وإنى مورد لهذا الاستعمال الخاطئ ثلاثة أمثلة قبستها من الصحف ، ليتضح بها المقام(٤)

١ — ومن زمن قريب ادعت اليابان لنفسها حق مرور قواتها (عبْرَ) شمال الهند الصينية

٢ — وسنواصل كل شهر قذف . . . بالقنابل الشديدة الانفجار ، كما فرغت مصانعنا من إخراج طائراتنا الضخمة ، أو جاءت إلى هنا (عبر) الأطلنطى

٣ — لهذا وصلوا بين باكو وباطوم (عبر) القوقاز بأنابيب (١)

(فظرفية) « عَبْر » المقتلة واضحة فى هذه المقتبسات ، يدل عليها متعلق (الظرف) فى كل

وقد يسبق إلى الوهم أن هذا العبث مما يمكن تخريجه على وجه صحيح : كأن يحمل مثلاً على حذف عامل المصدر

ولكن قليلاً من التأمل فيما أسلفت من الأمثلة وفى غيرها يذهب بهذا الوهم . على أن قواعد حذف عامل المصدر وأمثلته مبسوطة مفصلة فى موضعها . وليس هذا مما يدخل منها فى باب أو يمت له بصلة

(ع . ا)

(١) وشج به : علق به واشتبك .

(٢) والعبور مصدر له أيضا ، وهو أشهر .

(٣) كان أول عهدى بهذا الاستعمال فى صحيفة مسائية ، منذ نحو خمسة عشر عاما . وقد لبث حقبة طويلة متباطئا ، لا يكاد يرى إلا فى تلك الصحيفة ثم ذاع وتناولته الأقلام فى مختلف الموضوعات ، ولا سيما الحربى منها والتاريخى والجغرافى

(٤) هذه الفقر منقولة بنصها

أخبار تهم الأدباء

١ — مضت أسابيع وأسابيع ولم نقرأ شيئاً من روائع الأستاذ إسعاف النشاشيبى ، ونحن نرجو أن يكون بعافية ، فهو من أعاظم الباحثين فى هذا الجيل

٢ — الفائزون من شعراء العراق فى المسابقة الشعرية التى أقامتها محطة لندن للإذاعة العربية هم بالترتيب حضرات السادة : عبدالرحمن البناء ، وجميل أحمد الكاظمى ، ومصطفى كامل ياسين . وقد وزِّعت عليهم الجوائز فى حفلة أقامها السفير البريطانى فى بغداد

٣ — والفائزون من شعراء مصر ثلاثة ، كان ثانيهم السيد حسن القاياتى ، وقد تألم من هذه المنزلة « الثانوية » فإن تفضل أحد الموظفين بمحطة الإذاعة المصرية وقدم إلينا أصول القصائد الثلاث فقد نقيم ميزاناً يُنصف السيد القاياتى بعض الإنصاف ، وإن كان يؤذى لجنة التحكيم بعض الإيذاء !

٤ — من بين الذين فازوا بعضوية « جماعة كبار العلماء » اثنان من أدباء اللغة العربية ؛ وهما الشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد عرفة ، ومعنى ذلك أن الأدب يزاحم بمنكبٍ ضخم فى بيئات العلماء

(١) هذه الفقرة من مقال لعالم جليل من علماء الطبيعيات . وقد ضبط (عبر) فيها بالشكل ، ونصبها توكيداً (لظرفيتها)

٥ — لم يفصل وزير المعارف في استقالة الدكتور طه حسين، ويقال إنه سيعيَّن في مجلس الشيوخ ، فإن صح هذا النبأ كان فوزاً للسلطة الأدبية ، وذلك بأن التعيين في مجلس الشيوخ كانت تراعى فيه اعتبارات لم يكن للأدب فيها مكان

٦ — حان الوقت لتقييد أوابد الفصاحة البرلمانية ، فقد وقعت في الأسبوع الماضي محاورات في مجلس الشيوخ ومجلس النواب تشهد بأن الفصاحة البرلمانية قد وصلت إلى أبعد حدود التفوق ، وسيأتي يوم تباع فيه مضابط البرلمان في المكاتب كما تباع أطايب المؤلفات !

زكي مبارك

وفاة طاغور

توفي الدكتور رابندرانات طاغور شاعر الهند وحكيمها في اليوم السابع من شهر أغسطس ، وقد نمته إلى العالم شركة روتر بما يأتي :

كان السير رابندرانات طاغور الذي أعلنت الآن وفاته في مقدمة المحبوبين في العالم وفي الهند، وقد نال جائزة نوبل في الآداب وألقى محاضرات هبرت في جامعة أكسفورد سنة ١٩٣٠

ولد في ٦ مايو سنة ١٨٦١ وتلقى تعليما خاصاً في القرية التي ولد فيها قبل أن يقيم في كلكتا . ولما بلغ الرابعة والعشرين ذهب إلى الريف ليتولى إدارة مزارع والده، وهناك بدأ الكتابة لأول مرة . ومن ذلك الوقت كتب نحو ستين ديواناً من الشعر وعدة مؤلفات نثرية منها روايات وقصص صغيرة ومقالات فلسفية وروايات تمثيلية . وكان السير رابندرانات فضلاً عن نظمه الشعر وكتابته النثر مؤلفاً موسيقياً ، فقد نظم أكثر من ثلاثة آلاف أغنية

وفي سنة ٩٣٩ تلقى في عيد ميلاده الخامس والسبعين رسائل التهنئة من جميع أنحاء العالم وكلها إشادة بفضله كشاعر وروائي وقصصي ومفكر سياسي ومصلح اجتماعي وأستاذ ديني

وفي سنة ١٩٠١ أسس مدرسة في سانتينكتان تحولت فيما بعد إلى معهد عالمي دولي يسمى — فسفا بهاراتي — وكان هذا عمله في حياته

وقد اشتهر أيضاً بأنه سائح عظيم، فإنه زار انجلترا في سنة ٩١٢ حيث نقل بعض مؤلفاته البنغالية إلى اللغة الإنجليزية ، وساح في أوربا مراراً ، وكذلك في اليابان وروسيا السوفيتية والصين والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية وإيران وكندا ومصر والعراق

ولما بلغ ٦٣ عاماً شرع فجأة يشتغل بالتصوير بالألوان ، وقد أقيم معرض لصوره بلندن في ديسمبر سنة ١٩٨٣ وكانت هذه الصور خيالية غريبة ، أي ما يدور بعقل الشاعر مرسوماً على الورق

وأقيمت لصوره معارض أخرى في برمنجهام وموسكو وبرلين وميونيخ وباريس ونيويورك

وقد مرض السير طاغور فجأة مرضاً خطراً بالحمرة في صيف سنة ٩٣٧ ولكنه شفي منه . وبعد ذلك كان لغزو اليابان للصين أثر شديد في نفسه ؛ وفي أكتوبر سنة ٩٣٧ أذاع رسالة لاسلكية على مواطنيه الهنود — استنكر فيها وحشية الحربيين اليابانيين في معاملتهم للصين

وبعث إلى يوني ناجوشي الشاعر الياباني تعنيفاً أدبياً مؤلماً بسبب ضرب اليابانيين للصينيين غير المحاربين بالقنابل

ولما بلغ الثمانين من عمره منحته جامعة أكسفورد درجة دكتور في الآداب . وقد منحه إياها السير موريس جوير كبير قضاة الهند في اجتماع خاص عقدته لهذا الغرض جامعة أكسفورد في قرية سانتينكتان بالبنغال ...

وكان لسير رابندرانات طاغور هيئة وقورة خارقة للعادة ، فكان كبير الجسم عظيم الرأس ، ففي الشعر قد سال على جانبي رأسه في خصائل كثيفة . وكان جميل الوجه ذا لحية بيضاء طويلة وكان يبدو في أرديته الطويلة الواسعة كأنه أحد الروحانيين

وكان ذا صوت جميل وقوة لا تقاوم في الكلام ، وكان كلامه يشع الهدوء والسكينة والخير

ولم ير في معظم الأحوال إلا مع الأطفال سواء أكانوا هنوداً أم بريطانيين أم صينيين أم يابانيين ؛ فقد كان الأطفال يخضعون في الحال لقوته الجذابة وحبه لهم .



البيت الهادئ

كتبت في القطار النازح عن الإسكندرية

للأستاذ سعد محمود دوارة

ها هو ذا القطار تتسارع دقاته كأنها خفقات قلب كبير . . .
وها هي ذي أعمدة التلغراف تتلاحق كأن بينها سباقاً لا نهاية له . . .
وها هو الثغر الحبيب يختفي وراء الأفق البعيد

القطار مزدحم بالكتل البشرية وكتل المتاع . الناس وجوههم مكفهرة مغبرة ، نظراتهم حزينة قلقة . لقد هجروا ديارهم فارين من الموت الذي كان يحوم فوق رؤوسهم ، لا حديث لهم إلا ما أصابهم من نقص في الأموال والأرزاق والأرواح .

أمامي سيدة تبكي بكاء صامتاً . . . تركت زوجها الذي لم يستطع اللحاق بالقطار ؛ ولقد حاولت أن تعود إليه ، ولكن أنى لها أن تتحرك بين هذه الجموع المحتشدة . إنها لا تعرف أين تذهب ولا كيف تعيش ، وهي لا تملك سوى الثوب الذي لا يكاد يستر جسدها

أما هذه الفتاة الهيفاء التي تجلس بجانبي شاحبة كأنها تمثال من الشمع ، فهي خطيبتي وفتاة أحلامي « عايدة »

لقد كانت في يوم من الأيام زهرة نضرة تستقبل أشعة الشمس الذهبية وتميل مع النسيم الرخاء . . . ولكنها الآن بعد أن حطمت قلبها يد القدر القاسية ، تبدو واجمة . . . وقد نفرت مني كأن قلبها لم يخفق في يوم من الأيام بحبي . . . وإذا التقت عيناي بعينيها نظرت إلى نظرة عتاب شديدة ثم أخفت وجهها كي لا أرى دموعها المنهمرة

***

في تلك الليلة المشؤومة ، كنت أنا وعايدة في إحدى دور السينما حين سمعنا زمارات الإنذار ترسل نعيبها الحزين ؛ وتسابق

قصص مسرحية للأطفال

القصص من أنفع الوسائل لتهذيب النفوس ، وتلقين الناشئين اللغة الصحيحة ، ورياضتهم على البيان ؛ ومن الممكن أن تكون عوناً للمدرسين على تدريس الحقائق التاريخية في غير عسر ، وطريقاً لإتقان فني الإلقاء والتمثيل ، وداعية لتآلف التلاميذ وتقوية أواصر المودة بينهم لما تشتمل عليه من حوار مسرحي يصحبه شيء من الحرية التي تخرج بالتلاميذ عن نطاق التعليم الجاف .

ولقد تلوت مؤلَّف الأستاذ (محمد يوسف المحجوب) فوجدته مبعثاً لسرور القارئ ، شاهداً بفضل المؤلف ، ولا شك أنه فتح جديد في تدريس القصص المدرسية ؛ فهو مصوغ في أسلوب شعري منسجم النغمات ، سهل العبارة ، متين النسج ، بريء من الغرابة والتعقيد ، سليم من المحاورات العنيفة التي تسوق الأطفال سوقاً إلى حب اللجاج والمهاترة .

والقصص مشتملة على أغراض نبيلة ، فمنها ما يدعو إلى مكارم الأخلاق كقصة (على البحيرة) ، وما يربي العاطفة الوطنية وينمّي المعارف التاريخية كقصة (قناطر محمد علي) وقصة (فتح مصر) . هذا إلى ما يزيد شوق القارئ ويبعث السرور في نفوس الناشئين من جمال الطبع ، والعناية بضبط الحروف ، وتجميل القصص بالصور المتقنة التي تربي الخيال والذوق السليم .

ولا غرابة في ذلك فالمؤلف معروف برقة العاطفة ، ولطف الحس ، وهو — كما قال الأستاذ الكبير محمد علي مصطفى في مقدمة الكتاب — (يمتاز بأنه معلم فيه مهارة وحذق ، وبأنه خَبَر الأطفال وعرف ميولهم ، وبأنه درس هذه القصص لتلاميذه فأحبوها وشغفوا بها ، واستزادوه منها) .

(المنصورة) محمود البشبيشي

المتفرجون إلى الخروج يلتجئون إلى أقرب مخبأ ، وأخذ كل يتحسس طريقه فى الظلام ...

... وأخيراً وجدنا مكاناً ضيقاً فى أحد المخابئ ... كان الجو خانقاً ، والكآبة غاشية على كل وجه ، وكان السواد الأعظم من الناس بملابس النوم ... وابتدأت المدافع تدوى متعاقبة ... وتعالت أصوات الدعاء من كل جانب ... ومن حين إلى آخر كنا نسمع صفير القنابل وهى تشق طريقها فى الهواء متجهة إلى الأرض ، فتحتبس الأنفاس ويخيم على المكان هدوء كهدوء القبور ... ثم نحس بالأرض تهتز تحت أقدامنا ، ونسمع صوت الانفجار مصحوباً بصوت تناثر الزجاج ...

وتبرعت « عايدة » بزجاجة عطرها تمررها بين الناس ... كانت تبدى شجاعة نادرة ، وكانت تواسى النساء قائلة : إن القنابل لا تقذف إلا على الأهداف الحربية ، وإننا جميعاً فى سلام !

وبعد ساعات — خيل إلينا أنها سنوات — سمعنا الزمارات تعلن انتهاء الغارة ... فاندفع الناس خارج المخبأ لاستنشاق الهواء الطلق ...

كانت الشوارع مضاءة بأشعة القمر الفضية ، وكانت قطع الزجاج المتناثرة تتلألأ ببريق غريب ... وخرج الناس من كل جانب فامتلأت بهم الطرقات ... كل يريد أن يطمئن على ذويه وأقاربه !

وشاهدنا ونحن نشق طريقنا بين الأكتاف بيوتاً تهدمت ، وبيوتاً لا تزال تتهدم ... كما شهدنا عربات صغيرة محملة بالمتاع وبالناس متجهة نحو محطة السكة الحديدية ... كان أصحابها لا يطيقون الإقامة فى هذه المدينة لحظة أخرى بعد أن رأوا الموت بينهم ... ومعهم !

وأخيراً ... وبعد مجهود عنيف ، بلغنا الشارع الذى تقيم فيه « عايدة » مع أمها وأختها الطفلة ... كان الزحام شديداً بدرجة غير عادية ، وكان عمال الإنقاذ والإسعاف يحاولون صد تيار الجموع المحتشدة ... !

ولم أشعر إلا و « عايدة » قد تركتنى واندفعت بين الزحام حتى غابت عن ناظرى ، كما تغيب قطعة الحرير البيضاء بين عتمة الأمواج المتلاطمة ...

أخذت أناديها . . . ولكن صوتى كان يختفى بين همهمة الجمهور ، وبين الصراخ والنحيب ...

وأشرفت على مكان أستطيع منه أن أرى بيت « عايدة » ... لم أكد أصدق عينى . . . ذلك البيت الذى كان يشق الفضاء قد صار أثراً بعد عين ، وقد تصاعدت فى مكانه سحب من الغبار الأبيض الكثيف ... !

ورأيت « عايدة » تحاول أن تتملص عن أيدى رجال الإنقاذ الذين منعوها ... من الاقتراب ... من الأنقاض ...

حاولت أن أصل إليها وأقنعها أن محاولتها هى الجنون بعينه ، ولكن دون جدوى ، فقد كان تيار الجمهور الجارف يدفعنى إلى الوراء

وغابت عايدة عن ناظرى لحظات ، وعندما رأيتها ثانية كانت فوق الأنقاض ، ولا أدرى كيف وصلت إلى هناك ... كانت ترفع قطع الحجارة المحطمة وبقايا الأثاث المتهالك . كانت تفعل ذلك بقوة عجيبة لم أكن أعهدها فى ساعدها الغض ويديها النحيفتين الناعمتين ... وقد انسدل شعرها الفاحم فوق وجهها حتى أخفاه

وحاولت أن أثنيها عن محاولتها الجنونية ، فقد كانت هناك بضعة جدران تريد أن تنقض . ولكن أنى لها أن تسمع صوتى الضعيف ..؟

وفى هذه اللحظة سمعنا زمارة الإنذار ترسل نعيبها وكأنه نعيب غراب سوء ، وساد الهرج واندفع الناس كأنهم قطيع من البقر الوحشى نحو المخابئ

وبذلت جهود الجبابرة حتى وصلت إلى عايدة وكانت مكبة على عملها كأنها لم تسمع شيئاً . . . أفهمتها أن بقاءها مستحيل ، ولكنها لم تقتنع ، بل أخذت تردد فى صوت حزين : « دعنى أنقذهم ... دعنى أنقذهم »

واضطررت إزاء إصرارها أن أقسو عليها بعض القسوة ،

فحملتها بين ساعدى كطفلة صغيرة ، ولكنها قبل أن تغادر المكان كانت قد استخلصت من بين الأنقاض دمية صغيرة . كانت دمية أختها !

وقضينا ليلة مضنية . . . وعند ما خرجنا من المخابئ كان الشفق الوردي ظاهراً فى الأفق معلناً قدوم يوم جديد

وحملت عايدة مغمى عليها إلى منزلى

وهناك استطعت بمساعدة خادمتى العجوز — وهى الشخص الوحيد الذى يعيش معى — أن أسعف عايدة . وبعد مدة ليست قصيرة أفاقت

كان جفناها ذابلين وقد أحيطت عيناها بهالتين من الزرقة الداكنة . وكانت أصابعها لا زالت ممسكة بدمية أختها الطفلة

كانت تتكلم بهدوء غريب وهى تغالب دموعها التى حفرت لها مجرى فوق وجنتيها الشاحبتين . . . ولا زالت كلماتها ترن فى أذنى وتتكرر فى سرعة متزايدة

قالت إنه كان فى إمكانها أن تنتشل أختها وأمها من بين الأنقاض لولا حملى إياها عنوة إلى المخبأ

حاولت جهدى أن أفهمها أن هذا كان مستحيلاً ، وأننى خفت أن يسقط عليها جدار أو تنهار من تحتها الأنقاض فأفقد بموتها آمالى ولا يبقى لى سوى الأحزان ، ولكنها كانت فى حالة غير عادية . . . وكانت فكرة إمكان إنقاذ أهلها تتملكها وتلح عليها . وانتابتها بعد ذلك حالة ذهول هى أشبه بالإغماء ، فلم تعارض حين شققنا طريقنا نحو محطة السكة الحديدية

* * *

لا زال القطار تتسارع دقاته ، ومن حين إلى آخر يرسل أنيناً حاداً كأنه يشارك الناس أحزانهم وأنينهم

لقد صرنا فى قلب الريف ! الخضرة تلفنا من كل جانب . ما أروع اللون الأخضر ؟! . . . إنه يهدئ الأعصاب ويحيى فى النفس حب الحياة

الجو دافئ ، وكأن ركاب القطار قد أنهكهم التعب فخيم السكون على المكان . أما عايدة فقد مال رأسها الرائع فوق كتفى ، وهبت نسمات الأصيل الدافئة تطيح بخصلات من شعرها الثائر إلى وجهى فينقل إلى شذى عاطراً

لا زالت آيات الحزن مرتسمة على وجهك أيتها الحبيبة . . . وإنى لأشاركك هذا الحزن ؛ فقد كانت أمك تعوضنى بعطفها وحنانها مما حُرمته منذ زمن طويل

أما أختك الصغيرة ، فقد كانت عصفورة مرحة ، ولا زالت صورتها مطبوعة فوق مخيلتى وهى تندفع نحوى وتدس يديها الصغيرتين فى جيوبى باحثة عن الحلوى . . . ثم تأبى أن تفارقنى حتى تنام فأحملها برفق إلى مخدعها . . .

نحن ذاهبون إلى أختى التى تسكن الريف . . .

إن لها ابنة صغيرة تشبه أختك . . . وستجدين هناك عطفاً وحناناً وستغفرين لى ذنبى !

سنبقى هناك حتى تنقشع تلك الغمامة التى تحجب سماء بلدتنا الحبيبة . . . ثم نعود إليها

وإنى لأتخيل يوم عودتنا . . . سيكون القطار الذى نركبه مزدحماً . . . ولكن السعادة ستحل على وجوه المسافرين محل التعاسة التى نراها الآن مرتسمة على وجوههم . . . وإن صورة البيت الذى سنقيم فيه فى الأسكندرية لمطبوعة فوق مخيلتى حتى لأكاد أراها . . . هو بيت هادئ تحيط به من كل جانب حديقة صغيرة خضراء . . .

أما هؤلاء الذين أحزننا فقدهم وأبكانا ، فإنى موقن أن لهم الآن بيتاً هادئاً .

سعد دواره

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)